أدوات الفلاح

اعتمد الفلاح في الماضي اعتماداً كلياً على بيئته الريفية التي يعيش فيها، سواء في سكنه أو أدوات معيشته أو أدوات زراعته. ويعني هذا الوضع تكيفاً كاملاً ومواءمة تامة بينه وبين احتياجاته المختلفة، التي قد تبدو لنا بسيطة ومحدودة في وقتنا الحاضر، إلا أنها كانت معقدة وصعبة في وقتها؛ إذا نظرنا إليها بمنظار الزمن الذي كان الفلاح يعيش فيه، وكيف كانت المجتمعات الريفية خلواً من التقنيات المعاصرة التي قربت المسافات بين المجتمعات وسهلت انتقال الثقافات والتقنيات المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة. لم يكن الاستيراد ميسوراً، سواء لمواد البناء أو المنتجات الزراعية أو الأدوات الزراعية. ولتعويض ذلك سخر الفلاح كل قدراته وطاقاته للاستفادة من بيئته الريفية الطبيعية، أو من بعض زراعاته لتلبية احتياجات متعددة.

المصنوعات المعتمدة على النخيل

تشكل النخلة أهم المصادر التي اعتمدت عليها الصناعة اليدوية في العصور الماضية، خاصة في المناطق التي

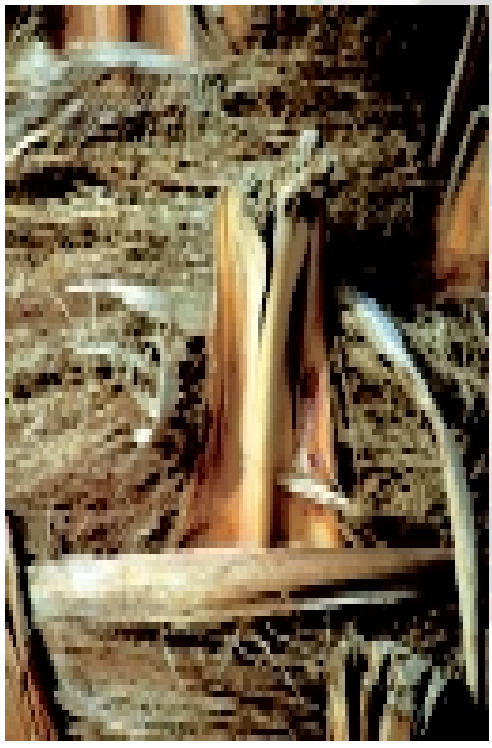

جريد النخلة وليفها من أهم مواد الصناعة

أدوات من الجلود والخوص وجذوع النخيل

تنتشر فيها أشجار النخيل بكثرة، مثل الأحساء والقطيف والمناطق الوسطى والشمالية والمدينة المنورة وينبع وخيبر والحائط ونجران. وكان كل جزء من النخلة، كالخوص والجريد والليف وجذع النخلة، يُشكِّلُ مادة أولية أساسية لعدد من المصنوعات. كما كان للأشجار التي يرعاها الفلاحون -أو التي تنبت قريباً منهم كالدوم والأثل والسدر والطلح وأشجار الغَرَب وغيرها- أهمية كبيرة، حيث اعتمد عليها المجتمع الريفي في كثير من المصنوعات، خاصة صناعة بعض الأدوات الزراعية كالمحراث الخشبي (الجارَّه) والمحَّاله والدرّاجه المستخدمة في السواني وأنصبة المسحاة والفاروع والمقشعة والمدمام وغيرها، أو في عدد من الأدوات

شجر الدوم

المنزلية المتعددة. وسنورد هنا نماذج من هذه المصنوعات بادئين بتلك المعتمدة على الموارد الشجرية والزراعية المختلفة.

المصنوعات الخوصية. يعد خوص النخلة مادة رئيسية، تعتمد عليه جملة من المصنوعات التي تهم الفلاح وربة البيت وصاحب الحانوت وصاحب المبنى وغيرهم. ويقوم هذا النوع من المصنوعات على ضفر أو سَفَّ خوص النخلة بعد جرده من الجريد، وتشبه عملية ضفر الخوص (السَّف) أو الوضين -كما تسمى في بعض المناطق كالباحة- إلى حد كبير عملية جدل الحبال أو خصل الشعر. وتبدأ صناعة الخوص بفصل السعف (الخوص) عن الجريد، ثم ينشر الخوص على الأرض لمدة يومين أو ثلاثة حتى يجف، ثم يجمع على شكل حزم ويؤخذ منه بقدر الحاجة. ويؤخذ الخوص المتخذ للسف من السعف القريب من قلب النخلة، ويسمى النواد والحضايا لمتانته. وإذا أخذ الخوص من قلب النخلة كان أشد بياضاً وقابلاً للتلوين بالأصباغ المختلفة، أما ما يؤخذ من أسفل الجريد فإنه يستعمل للمصنوعات الخشنة كالزبلان والمحافر أو لفتل الحبال الخوصية. وعند استخدام الخوص يأخذ الضافر منه ما يحتاجه لعمل يومه، ويضعه في الماء لمدة

عمل السفيف (الضفائر)

ساعة، ثم يبدأ في ضفره (سفه). فيصنع سفيفةً عرضها يتراوح بين ٥-١٠سم يستخدمها فيما بعد ليصنع منها تشكيلة كبيرة من الزنابيل والقفف والأطباق عن طريق خياطتها مع بعضها وتفصيلها حسب الشكل المطلوب.

ومع أن خوص النخلة كله يمكن استخدامه في مصنوعات السفيف، إلا أن أفضله هو خوص جريد الخوافي، أي العسبان القريبة من قلب النخلة، وهو ذو لون ضارب للخضرة. وعلى هذا النوع من الخوص تعتمد معظم مصنوعات السفيف. أما جريد القلوب فهو أفضل

الخوص على الإطلاق، ولونه أبيض ناصع ويؤخذ من الفروخ والرواكيب غير المرغوب فيها. وعلى هذا النوع من الخوص تقوم صناعة عدد من الأطباق الممتازة وسفر الطعام ونحوها.

وصناعة السّفيف من الأعمال التي تختص بها المرأة في جميع المناطق الوسطى والشمالية، حيث تقوم النساء بسف ما تحتاجه أسرهن من الزبلان والأطباق والسفر والمراوح اليدوية وغيرها. ويكون هدف النساء غالباً سد احتياجات الأسرة، إلا أن بعضهن قد يبعن ما يفضل عن حاجة أسرهن أو مقايضته ببعض السلع. ويغلب الإنتاج من أجل البيع عند بعض النساء الفقيرات، من غير نساء الفلاحين، اللاتي يمتهن هذه المهنة فيشترين الخوص من الفلاحين ويبعنه أو يقايضنه ببعض التمر والبر بعد تصنيعه.

ويختلف أمر صناعة السفيف في مناطق الأحساء والقطيف ونجران والمناطق الغربية، حيث يُمارس هذه الصناعة الرجال ويمتهنونها كحرفة أساسية. فيشترون الخوص من الفلاحين أو يقايضونه ببعض إنتاجهم، ويأخذ إنتاجهم من الخوص المصنّع طريقه إلى السوق والباعة. ويطلق على هؤلاء في

صانع المنتجات الخوصيّة

نجران الحُوك (واحدهم حائك)، وكان سكان المنطقة ينظرون إليهم على أنهم من الفئة الغنية؛ ويجسد هذا الاعتقاد قول شاعرهم:

ياسعدكم ياحُوّك لا نورت مرهبه
السمن في الدبدى والبر في الزاويه

أي أن الحوك لديهم سمن وبر وفي رفاهية من العيش.

ومن أهم المصنوعات المعتمدة على السفيف، الزبلان (الزنابيل). وهي أوعية تصنع من سفيف خوص النخل، وقد تصنع من سعف الطفي (الدوم)، خاصة

زنبيلان من السفيف

في المناطق الجنوبية الغربية، لكل منها عروتان أو أكثر تحمل بهما، وهي متفاوتة في الحجم والمتانة والاستعمال. وهي في الغالب أداة حمل يستعملها الفلاح وغير الفلاح من بنّاء وتاجر؛ جاء في المثل الشعبي «ما جاب زبيل الجلابه»، والجلابه المرأة التي تحمل البضائع في زبيلها وتدور على البيوت لبيعه بالنقد والمقايضة، وعادة تكون بضائعها رخيصة، ويضرب المثل في الشيء الغالي والنفيس الذي لا يُحصل عليه دون تعب أو عناء. كما أن أسماءها تختلف من منطقة إلى أخرى. ومن أشهر الزبلان زبيل صغير يسمى المحفر ولكنه متين وقوي، ويستخدم في حفر الآبار ونقل السماد وتفريقه داخل الأشراب ونحو ذلك ويسمى في بعض المناطق القفَّه. ويطلق اسم القفه أيضا على نوع آخر من الزبلان حجمه صغير وشكله مدور يستخدم في جني الرطب أو توزيعه على الجيران والأصدقاء.

والوقر (الوجر) أو الفغير أو المنقله ويسمى في الأحساء الخرج، وعاء مصنوع من سعف النخل أو سعف الطفي، على شكل مستطيل. ويصنع عادة من سفيف الخوص الأبيض الناصع، ويكون من طبقتين، وتوشى أطرافه وحوافه بالليف. والوقر بمثابة وعائين أو عدلين يحمل على الدواب مثل الخرج

ويستخدم في نقل الثمار، وقد يستخدم في نقل التربة والسماد وخلافه حيث يوضع على ظهر الجمل أو الحمار. وهذا يعني وجود حجم كبير خاص بالجمل، وحجم صغير خاص بالحمار. ويتشكل الوقر عند وضعه على ظهر الجمل أو الحمار على هيئة وعائين؛ وعاء على اليمين ووعاء على اليسار بشكل متساو، ويعبأ بالتراب أو السماد البلدي (الدمن، الدمال). ويعرف هذا الوعاء في معظم مناطق جنوب وغرب المملكة باسم المِرْبَده أو الحَفْصَه. وقد يكون للوقر أحياناً أكمام من أسفله تربط عند التعبئة، بواسطة أزرار في أعلاه وتفك إذا أريد تفريغ ما فيه، من دون الحاجة إلى إنزاله عن ظهر الجمل أو الحمار.

زنبيل رطب

المِرْحَلَه من أكبر الزبلان حجما وتتسع لـ ٦٠ وزنة؛ وضرب باتساعها المثل قالوا «عسى رب عطاك بالزبيل يعطينا بالمرحله»، والمرحلة أكبر من الزنبيل، يقول هذا المثل من يتمنى أن يكون العطاء مضاعفاً؛ ويضرب المثل في عدم اليأس من رحمة الله، لأنها قد تنزل على الإنسان مضاعفة أضعافاً كثيرة.

ومن المصنوعات المعتمدة على السفيف المَكْتَل العمَّاري أو المِذْرَى العَمّاري، وهو عبارة عن وعاء كبير ضيق من الأسفل ويأخذ بالاتساع التدريجي للأعلى وقطر فوهته قد يصل إلى متر، له عروتان، ويتسع لقرابة مائة كيلوجرام من الحبوب. ويستخدم المكتل بشكل رئيسي لنقل التبن من المجرن أو الجرين إلى مكان تخزين التبن. ويصنع من سعف النخيل إن وجد، ولكنه يصُنع غالباً من سعف الدوم (الطفي)، ويوجد بثقيف وبني مالك ومنطقة الباحة، وينسب إلى بني عمّار، وهي قرية بمنطقة الباحة إلى الغرب من مدينة المندق، مشهورة بصناعته.

ويصنع من الخوص نوع آخر من المَكْتَل شبيه بالمكتل العماري، ولكنه أصغر ويتسع لنصف ما يتسع له المكتل العماري أي حوالي ٥٠ كيلوجراماً. ويستخدم

لنقل الحبوب إلى مكان التخزين وكذلك الأعلاف والحشائش الصغيرة، ويصنع من سعف النخيل وسعف الطفي. والمشطر أصغر من المكتل ويستخدم في نقل الحبوب أيضاً؛ كما يستخدم لإخراج التراب من البئر أثناء الحفر، خاصة إذا استخدم الثور في جره، ويوجد في كل المناطق الجنوبية الغربية. والغَلَقَة وعاء شبيه تماماً بالمكتل في صناعته وحجمه، إلا أنها أقل سمكاً ومتانة منه وتستغل لأغراض خفيفة كتجميع صوف الأغنام عند جزها، وشعر الماعز، وتخزين بعض الحبوب قليلة الانتشار، مثل بذور البرسيم أو الدخن.

وتصنع الزبلان الكبيرة غالباً من الخوص الأخضر الخشن، ولذا فهي أكثر متانة وخشونة وتحملاً من الزبلان الصغيرة، كما أن عراويها غليظة وقوية تتناسب مع أحجامها الكبيرة. وهي تستخدم أساساً لنقل الحبوب والتمور من المطاحن، كما تستخدم لأغراضٍ متعددة أخرى. ومنها المجداد، ويتسع لحوالي ٣٠ وزنة. ويسمى في الباحة بالمنثل لأن نثيل الآبار يُستخرج به.

وهناك النفيه وهي مدورة صغيرة قطرها ٥٠سم ويزيد، ولها عروتان وتطعَّم بالليف لتقوى وتستخدم في قذف التراب من السواقي إلى العقوم والمروز أو من الفقر التي تحفر للغراس والفسائل.

أما القُفَّه فتشبه الزبيل غير أنها تختلف عنه في شكلها العام واستخداماتها. وهي نوعان؛ القُفَّة الكبيرة، وتسمى القَفْعَه، وعاء كبير يصنع من سعف النخل إذا توافر، ولكنه يصنع في الغالب من سعف الطَفْي في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة بشكل عام. وهذا الوعاء كروي الشكل، حيث الانبعاج والاتساع في الوسط، يتسع لأكثر من مائتي كيلوجرام. وتخزن فيه الحبوب بأنواعها، خاصة في ثقيف وبني مالك ومنطقة الباحة. ويمتلك كل مزارع عدداً منها، تكفي لاستيعاب منتوجاته الزراعية. وتوضع هذه القفاف مصفوفة جنباً إلى جنب في الدور الأرضي غالباً.

مخرف وقفة

أما القفة الصغيرة فإن لها أحجاماً مختلفة منها ما هو بحجم إناء شرب الماء، ومنها ما يستوعب الصاع والصاعين وتكون قاعدتها أضيق من فوهتها بشكل متناسق، وتستخدم لمختلف الأغراض؛ يوضع فيها التمر وغيره؛ قال الشاعر:

ما من ورا قفة فلان هجوري

ولا هم من اللي هجروني بطاسه

وقد وردت القفة في المثل الشعبي قالوا «نبي قفتنا بلا عنب»، أي نريد قفتنا التي وعدتمونا بإرسالها مليئة بالعنب ولو كانت فارغة؛ يضرب لمن رضي من الغنيمة بالإياب.

وتصنع القفه من الخوص الأبيض الناعم، فهي تشبه الزنبيل الصغير، أسفلها واسع ثم تضيق شيئاً فشيئاً نحو أعلاها حتى تنتهي في الغالب برقبة ضيقة دائرية تغطى بغطاء من جنسها. وللقفة عروتان على جانبيها تصل بينهما شريحة من الليف مثبتة فوق غطائها وتحمل بهما. وتستخدم القفة الصغيرة لنقل الأشياء الصغيرة، والأغراض المشتراة من السوق، وتشبه في استعمالها السلال في الوقت الحاضر. كما تستخدم القفف (القفاف) لجمع الجراد ولحفظ القفر (شرائح اللحم المجففة) والكمأة وغيرها.

والمِحْدَره نوع آخر من الزبلان الصغيرة، تصنع من الخوص الرقيق الناعم (سعف القلوب) وهي أخف من المحفر وأقل متانة منه وتستخدم لحمل الأغراض الخفيفة.

المطحن أو المطحان (جمعه مطاحن) أو المِخْرَف أو المقطف أو الملقاطه أو المجنى نوع من الزنابيل الصغيرة، وقد يتسع لصاعين إلى خمسة أصواع، يستخدم لجني الرطب. وهو شبه دائري ويشبه المحدره في حجمه وصنعه ولكنه يتميز عنها بأن له حبلاً يصل بين عروتيه يساعد على حمله أثناء خراف النخلة. وعراوي المطحن رقيقة موشاة بحبل من الليف أو الصوف أو القماش، ويصنع أيضاً من الخوص الناعم ويستخدم لنقل الحب والدقيق والتمر وغيرها. والرطب المتساقط من النخل يجمعونه في زنبيل صغير يسمونه الملقط.

ويستخدم المطحن في خراف النخل أما الوعاء المستخدم في الجداد (الصرام) فهو المعرى وهو نوع من الزنابيل كبير الحجم. وقد يستخدم المعرى في جني الرطب؛ قال: معراك هذا يجى كيله؟ قال: أظن زايد عياره مد. وهناك المعرى الزبيل الذي يستخدم في العمل وهو أقل عمقاً من الآخر.

ومن الزبلان الصغيرة التي تستخدم في جني التمر وتخزينه القفعه وهي عبارة عن كيس تستخدم وعاء لعجوة التمر.

ومما يصنع من الخوص الطبق والمِنْسَف. والطَبَق صحن مقعر صغير الحجم مصنوع من سعف النخل أو سعف الطفي، ويستخدم لتقديم الفاكهة أو يوضع فيه الخبز بعد تكسيره أحياناً ويكون غالباً ملوناً. أما المنسف فهو عبارة عن طبق مقعر يصل قطره إلى ٥٠سم أو أكثر، ويصنع من سعف النخل أو سعف الدوم (الطفي). وقد يكون ملوناً أحياناً ويستخدم في تنظيف الحبوب وتنقيتها أثناء استخراجها من التخزين استعداداً لطحنها، وذلك بإمساك المنسف من الجانبين وهزه إلى أعلى وأسفل لكي يخرج الغبار، وترتفع الأشياء الخفيفة إلى أعلى فوق الحبوب ويتم بعد ذلك تنقيتها باليد. والمنسف موجود في كل مناطق المملكة، وإن اختلف شكله قليلاً من منطقة إلى أخرى.

ومِطْعَم التمر أو الطباقه (ويجمع على مطاعم) وهو وعاء يشبه المنسف ولكنه أصغر منه وفيه يُقدم التمر للضيوف. ويتميز عن المنسف بوجود زائدتين مستديرتين على شكل الكف متصلتين به على جانبيه، تعرف الواحدة منهما بالكِفَّه، تستخدمان لوضع النوى (العَبَس) فيهما. وقد يكتفى بكفة واحدة بدلاً من اثنتين وله ركزة من أسفل.

والخَصَف وهي أوعية من سفيف النخل تخاط على شكل أكياس مربعة أو مستطيلة، تستخدم لتعبئة وحفظ التمور، وتستوعب حوالي ٥٠ كيلوجراماً. وتستخدم الخصف لنقل التمور من مكان إلى آخر خاصة في محافظتي الأحساء والقطيف، كما يستخدمها التجار وهي أيضاً من الأوعية المفضلة لدى البادية لأنها تناسب تنقلهم الدائم.

كما يصنع من خوص النخيل بدقة ومتانة، وعاء فردي أو مزدوج متشابك مع بعضه ويسمى الجونه وهو صغير الحجم تضع فيه النساء أشياءهن الثمينة مثل أدوات الزينة، وصانعوه يضيفون له بعض الألوان حتى يكون جميلاً وتزود الجَوَن بأغطية محكمة وسواء كان فردياً أو مزدوجاً فإنّ وحداته دائرية بقطر ١٢سم وعمق ١٢سم تقريباً، كما يُصنع من نفس المادة وعاءٌ مماثلٌ إلاّ أن حجمه أكبر ويشبه الصاع الكبير ويسمى المَلْهى تستخدمه النساء لوضع الحب المراد طحنه بداخله، ولأن القَدْر الذي يسقطنه في حلق الرحى يسمى اللهوة فقد جاءت تسميته من هذا المعنى ويستخدم كذلك

لحمل «المعـروف» وهو أي شيء تهديه امرأة إلى أخرى.

وهناك الغلقة الـصغيرة، وتستخدم لحمل المشتـريات المقاضي من السوق، ولحفـظ بعض الأشيـاء الصغيـرة وهي معروفة بهذا الاسم في ثقيف وبني مالك والباحة وعسير وجازان والقنفذة.

والحَصِير، وهو الفراش المصنوع من سفيف خوص النخل. وهو ذو أحجام مختلفة بعضها صغير يستخدم للصلاة وحجمها لا يزيد عن حجم سجاجيد الصلاة الصغيرة. وبعضها كبير يستخدم بساطاً للجلوس أو يوضع وقاية للفرش الثمينة من الغبار، وحجمها قد يصل إلى خمسة أمتار طولاً وثلاثة إلى أربعة أمتار عرضاً. والحُصُر الكبيرة تصنع على شكل شقائق، عرضها حوالي متر في المتوسط. ثم تخاط فيما بينها لتـشكل حصيراً كبيراً. وهناك نـوع من الحصر يسمى المُسْطَح، وهو حصيرة مستطيلة تحدد الحاجة طولها، تفرش بها المجالس والمسـاجد والغرف. وبـالإضافة إلـى الحُصُر المصنـوعة من سفيف النخل، هناك أيـضاً حصر أخـرى تصنع مـن سعف الطفـي، وهي منتشرة في كل المناطق الجنوبـية الغربية، ولكنها أقـل جودة. ويعرف الحصير في هذه المناطق بأسـماء أخرى، كـالفراش والـهِدْم. والحُصُر بوجه عام، من الفرش رخيصة الثمن، ولـذا يكثر الإقبال علـيها من الطبقات الفقـيرة، كما تستخدم أيضاً لفرش المساجد.

مصلى (خصّاف)

وهناك الدويرة وهي حصيرة مستديرة ذات أحجام مختلفة تفرش بها المجالس وتستخدم في جمع الثمار، وعليها يهز الرعاة الشجر فتتساقط أوراقه وثماره عليها، وأيضاً يستخدمونها في هش الشجر ليلاً في الفصول الباردة عندما يبيت الجراد فوق الشجر فيتساقط على الدوارة لتثنى عليه ويفرغ منها في أكياس الخيش.

ويسف من الخوص الحجو والمعالف. والحجو مُسْطح ملون تغطى به الجوانب الداخلية للغرف والعشاش وهو بمثابة الورق الذي يبطِّن الجدران من الداخل، إلا أن الحجو متحرك وورق الجدران ثابت. أما المعالف فهي عبارة عن دوارة صغيرة، ملونة أو غير ملونة، ترص فوقها الصحاف والصحون الصغيرة، وتكون معالف الرطب أصغر حجماً.

والطْبَاقَه غطاء من الخوص على هيئة هرمية، لها أحجام مختلفة تستخدم لتغطية الأواني.

السُّفْرَه (النَّفْيَه)، وهي نسيج من خوص النخل تستخدم كالسماط لتقديم آنية الطعام، كالصحون والصواني، عليها عند تقديم الأكل. وتتخذ الشكل الدائري، ويكون لها أحجام مختلفة. فقد يكون القطر متراً وقد يكون متراً ونصف المتر. تصنع السفرة من سعف النخيل إذا توافر، كما هو الحال في المناطق الوسطى والشرقية ومنطقة العقيق بالباحة، وكذلك في نجران وإذا لم يتوافر سعف النخيل فتصنع من سعف

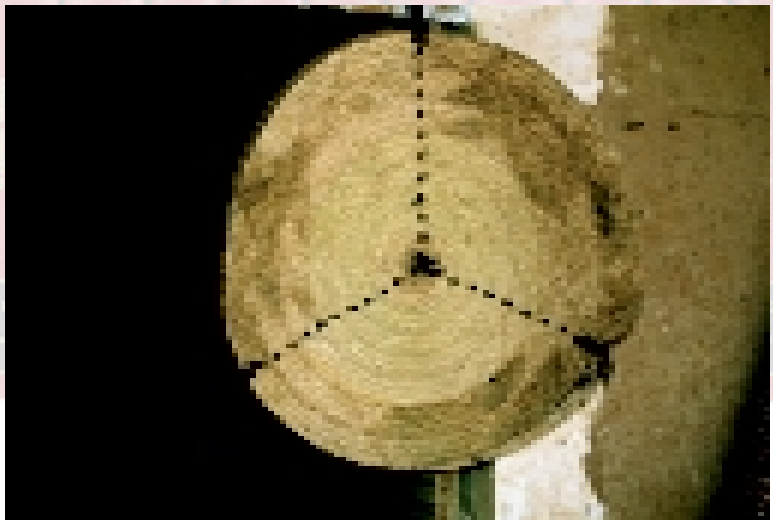

سفرة طعام من خوص النخيل

الدوم، وتلون السفر بألوان عديدة، بحيث تظهر على شكل حلقات متعاقبة من الألوان، ويُنسج طرف السفرة أو إطارها الخارجي من حبل رفيع من الليف مع قطعة من القماش، حفاظاً على أطرافها من التمزق ولبقائها مدة أطول. وللسفرة، عادة، ثلاث عراوٍ تحمل بها، وفي بعض البلدان يكتفى بعروتين. وقد كانت السفرة تصنع من الجلد ويكون داخل حافاتها حبل يُسحب من الجانبين فتتحول إلى إناء يُعلق على الراحلة أو في المنزل.

ويصنع مبرد القهوة من الخوص، وقد يصنع من عذوق طلع النخلة (الصنوخ)، بعد نقعها بالماء ودقها وقد يصنع منهما مجتمعين، كما قد يصنع من سعف الدوم (الطفي)، خاصة في الأجزاء الجنوبية الغربية من المملكة. والمبرد يشبه المنسف وهو ذو شكل دائري. ويكبر حجمه ويصغر حسب الحاجة ويستخدم لتبريد القهوة بعد حمسها، ويسمى في الأحساء السارود.

والمَهَفَّه (المروحة اليدوية) قطعة من نسيج الخوص الأبيض الناعم، شكلها مربع أو مستطيل في معظم المناطق، ودائري في المناطق الجنوبية الغربية وتصنع من سعف الدوم في الغالب. وللمهفه يد من جريد النخل الناعم المهذب تحمل بها، وهي ملونة وغير ملونة أو مزينة أطرافها بالكثل القماشية وغيرها. وتحرك المهفة يميناً وشمالاً بواسطة اليد وحول الوجه، لتحريك تيار الهواء ولتخفيف الحر عن مستخدمها. والمهاف أحجام مختلفة بعضها كبير وله يد طويلة يستخدم في المناسبات الكبيرة، أثناء تقديم الأكل، بينما يستخدم الصغير منها في البيوت وغيرها. وكان لا يخلو منها بيت أو مجلس أو مسجد لأنها تمثل وسيلة التكييف الرئيسية في ذلك الوقت.

أما المظَلَّه أو الهَطَفَه فهي غطاء يوضع فوق الرأس ليقي من حرارة الشمس. وهي مصنوعة من سعف النخيل أو سعف الطفي على هيئة نسيج هرمي مفتوح من أسفل ومثنية حافتها السفلى إلى الأعلى. وتستخدمها النساء عادة عند العمل في حصاد القمح أو تقسيم الأرض الزراعية إلى أحواض بعد الحرث، أو عند رعاية الغنم، وهي معروفة في كل مناطق جنوب غرب المملكة بهذا الاسم، ومعروفة في المناطق الأخرى بأسماء مختلفة.

وتصنع من خوص النخل، بعد أن يربَّص بالماء ويدق، أنواع متعددة من

الحبال، ولكنها ليست في جودة حبال الليف وأهميتها. من هذه الحبال ما تضفر للكراسي وأبطنة الحيوانات ونحوها. ومنها الأحزمة وإن تكن ضعيفة حتى ضرب بها المثل لذلك، قالوا «حزام خوص»، والحزام أو الحازم هو ما يتحزم به العامل فيشده حول وسطه ليشد ظهره، وحزام الخوص إذا ابتل انكمش وإذا جف ارتخى وتمدد، فهو لا يثبت على حال؛ ويضرب المثل للأمر أو الرجل كثير التقلب والتحول والذي لا يوثق به.

صناعة الكراسي من السعف والجريد

منتجات الجريد. يعد جريد النخل سواء قبل إزالة خوصه أو بعد إزالته، من المواد الأولية المهمة متعددة الاستخدامات، التي تعتمد عليها كثير من المصنوعات اليدوية. ومن أهم هذه الاستخدامات وتلك المصنوعات ما يلي:

تستخدم عسبان النخل اليابس في سقف المنازل سواء قبل إزالة خوصها أو بعده. فيرص الجريد فوق أخشاب الأثل في أسقف الغرف، ثم يغطى الجريد والسعف بطبقة من الطين. وهناك أشكال متعددة لرص أعواد الجريد في أسقف المنازل؛ بعضها تتقاطع فيه الأعواد مع بعضها لتشكل منظومة من المربعات الصغيرة المتقنة، وبعضها ترص الأعواد إلى جانب بعضها باتجاه معاكس لاتجاه أخشاب الأثل التي تصل بين جدران الغرفة.

وتستخدم عسبان النخيل أيضاً قبل إزالة خوصها، في عمل السياجات التي تحيط بالبساتين أو الحواجز التي تفصل بينها، حيث ترص العسبان بعضها إلى جانب بعض بشكل رأسي، وتثبت قواعدها في الأرض وتربط مع بعضها بحبال من الليف وغيره. كما تستخدم العسبان أيضاً لعمل سياجات تحيط بالفسائل (الفروخ) الصغيرة بعد غرسها، لتقيها من البرد القارس أو الحر اللافح. وتستخدم العسبان اليابسة

بالإضافة إلى الكرب وقطع الجذوع (النبوع) كمواد للوقود.

ويستخدم سعف النخل، بعد ربطه من وسطه بحبل من الليف أو نحوه، كمكنسة (ملفاع) تستخدمها النساء في تنظيف بيوتهن.

أما العِشَّه (العريش) فهي عبارة عن سقيفة تصنع من عسبان النخل بشكل أساسي، بالإضافة إلى عدد من أخشاب الأثل أو غيره. وقد تكون العشة مربعة أو مستطيلة، تركز في أركانها أربع قوائم من خشب الأثل أو جذوع النخل تصل بينها من أعلى أربع أخشاب أخرى، تربط معها بحبال من الليف ويغطى سقف العشة وجوانبها، بعسبان النخل وقد يترك جانب من جوانبها أو أكثر مفتوحاً. وتستخدم العشة أو العريش مجلساً في أيام الصيف الحارة، حيث يكون الجو فيها بارداً وعليلاً. وقد تستخدم العشة (العريش) استخدامات أخرى، كزرائب للحيوانات أو مكاناً للأعلاف وجمع محصول الخضروات، ونحو ذلك.

ويعتبر جريد النخل بعد إزالة ما فيه من الخوص، مادة أولية مهمة، تعتمد عليه كثير من المصنوعات والأدوات المنزلية، خاصة في المناطق التي تكثر فيها النخيل، كالأحساء والقطيف والمدينة وينبع وغيرها. ومن أهم هذه المصنوعات ما يلي:

صناعة الأقفاص؛ وتعتمد على أعواد جريد النخل بعد إزالة خوصه وتهذيبه، حيث يتم خرق بعض الجريد بأدوات خاصة وإدخال أعواد جريد أخرى في هذه الثقوب، لعمل القفص المطلوب. والأقفاص أنواع وأحجام عدة أشهرها؛ أقفاص التمر، وتعرف بدكوك التمر، وهي من المصنوعات التي تشتهر بها منطقة الأحساء وتستخدم لحفظ التمر، خاصة أثناء السفر على ظهور الإبل. وأقفاص الفاكهة، وهي أقفاص صغيرة تستخدم لحفظ بعض أنواع الفواكه، كالخوخ والتين والعنب واللومي ونحوها. أما أقفاص الدواجن فمتفاوتة الحجم، بعضها كبير وبعضها صغير، تصنع حسب الطلب. ويوضع فيها الدجاج والبط والحمام والأرانب، خاصة عند نقلها من مكان إلى آخر.

والعِرْزَاله نوع من الأقفاص تتميز باتقان صناعتها بشكل أكبر، كما أنها أكثر متانة حيث يدخل في صنعها، إلى جانب جريد النخل ألواح خشبية وشرائح من القِدّ أو حبال الليف، وتشد أركان العرزالة غالباً بواسطة قوائم من الجريد المتين أو الألواح التي تشد مع بعضها بشرائح من جلد البعير (القد). ويكون

العِرزالة

للعرزالة باب من الخشب أو جريد النخل وقد يكون لها قفل ومفتاح خشبي. وتثبت في أعلى العرزالة حلقة من الليف، يربط بها حبل تعلق بواسطته من خلال محجان خشبي في أسقف المنازل لأن المحجان عبارة عن عصا تستخدم لهذا الغرض، وهو صغير ودقيق؛ أما الجازل فكبير الحجم ويستخدم للتعليق والربط. وتستخدم العرزالة لحفظ اللحوم والأطعمة واللبن، ولذا فهي توضع دائماً في أماكن معرضة لتيارات الهواء، حتى تحافظ على برودتها، كما أن تعليقها يبعدها عن متناول الأطفال والحيوانات والحشرات وخشاش الأرض.

سرير أطفال من الجريد

وتصنع أَسِرَّةُ الأطفال بأحجام مختلفة من جريد النخل بطريقة صناعة الأقفاص. وتعرف في الأحساء والقطيف بمناز الأطفال.

وبالإضافة إلى الأبواب المصنعة من أخشاب الأثل والطلح والغرب وشرائح جذوع النخل، هناك أبواب أخرى تعتمد في صنعها على جريد النخل. وعادة تعزز أبواب الجريد بشرائح من ألواح الخشب، توضع بوجه خاص على جوانبها الخارجية. ويتم صف أعواد الجريد إلى جانب بعضها وشدها بواسطة شرائح من القد. ويستخدم هذا النوع من الأبواب في شؤون الفلاحة والمرافق المنزلية غير المهمة.

ويصنع من جريد النخل بعض أنواع الدرايش (الشبابيك)، خاصة درايش القهاوي (المجالس)، حيث تكون على شكل أقفاص من جريد النخل، لأنها

أنواع من منتجات الأخشاب

تكون عادة مرتفعة بقرب السقف، ولذلك يصعب فتحها وإغلاقها.

وكذلك المِعْصَاد (المِسْوَاط)، وهو من الأدوات المستخدمة في المطابخ القديمة، وهو عبارة عن عصا يحرك بها طعام العصيد والجريش والهريس وما يحتاج إلى تحريك. ويصنع المعصاد في المناطق التي توجد فيها أشجار النخيل من جريد النخل بعد تهذيبه، خاصة قاعدة العسيب أي نهايته مما يلي الكربة، أما في جنوب غرب المملكة فيصنع من أعواد الأشجار المتوافرة، كالغرب والعتم وغيرهما. كما تصنع من جريد النخل أنواع من الصفف مثل؛ العشة وهي عبارة عن ثلاثة سياجات من الجريد على شكل حرف U مسطحة السطح ومن حولها سياج من الجريد يشكل فناء العشة، وقد ينام المزارع على سطح العشة. والجندبة وهي عشة دائرية الشكل وسقفها هرمي لتفادي الأمطار. والصبل وهو عبارة عن سياجين متوازيين يعلوهما سقف، ويفصل بينهما ما لا يزيد عن ثلاثة أمتار، ويشكل الصبل مستطيلاً بضلعين، أما الضلعان الآخران فمفتوحان، ويستخدم الصبل لجلوس الرجال فقط. والصبله ملحق صغير بالعُشة أو الجندبة أو الصبل

توضع به رميلة مرتفعة مصنوعة من جريد النخل ترفع عليها قرب الماء. والقيفه جدران من الحجارة أو الجذوع وسقف من الجريد المرمول يغطى بطبقة من السعف والليف والطين أو بواحد منها؛ ومن الجريد تقام سياجات المزارع وأقفاص الغراس، ولا ينزع هنا من الجريد خوصه. ومن الجريد منزوع الخوص تصنع السرر. ومن الجريد يعمل عصا لعب القال، والطاب والقب والدمى. ومن الجريد وبخاصة منابته في النخلة (الكرب) يؤخذ الحطب وتعمل لعب أطفال. ومن الجريد الأخضر (العواهن) تتخذ راية تنصب في الأفراح تعلق عليها أعلام وتنشد بجوارها البيشانة في الزواج والاحتفال بعودة الحجاج والاحتفالات الشعبية (أم الغيث). ومن الجريد تعمل العِصيّ؛ قال الشاعر:

يا رايح الوادي
جب لي معك كادي
والا جريد اخضر
نضرب به العسكر

منتجات الليف. يدخل ليف النخلة في معظم المصنوعات اليدوية المعتمدة على أجزاء النخلة، كصناعة السفيف والأقفاص والأبواب. وقد أشرنا إلى أن الليف من المواد المهمة التي تدخل في صناعة الزبلان بأنواعها، حيث تصنع منه العراوي، وتلف خصائل منه على الجوانب. كما يدخل في صناعة الحُصُر والمدَّات وغيرها. ومن الاستخدامات المهمة لليف استخدامه في كِمَام عذوق النخل، سواء بعد تلقيحها أو عندما يداهمها الجراد ويستخدم الليف الناعم أيضاً بوضع خصائل صغيرة منه في ثعبة الدلة، لتحبس ما طفا من قشر الهيل، حتى لا يخرج إلى الفنجان عند صب القهوة. وتدعى هذه الخصلة الصغيرة من الليف الليفه واللثامه. كما استخدم الليف النظيف لترشيح مياه الشرب في المنطقة الشرقية، على نطاق واسع من الآبار التي يشوب مياهها بعض العوالق الطافية.

وتنبع أهمية الليف كمادة أولية، من استخدامه في صناعة الحبال المفتولة، حيث تصنع منه أنواع من الحبال متعددة الأغراض، تختلف سماكتها باختلاف الأغراض التي تستخدم من أجلها. وتصنع هذه الحبال حيث يوجد النخيل، ويصنعها المزارع بنفسه، وقد يستأجر من يفتل له الحبال، خاصة في موسم الزرع والسواني حيث تزداد الحاجة إليها في الوقت الذي يكون المزارع منهمكاً في

فتل الحبال من الليف

أعمال مزرعته. يقوم بفتل الحبال، عادة، الرجال الذين تقدم بهم السن والذين لا يتحملون الأعمال الشاقة كالسني والرياسة. وقد يمتهن حرفة فتل الحبال بعض الناس ويأخذ إنتاجهم طريقه للأسواق، خاصة في المناطق التي لا يوجد -أو تقل- فيها أشجار النخيل كما هو الحال في منطقتي الباحة وعسير. وفي بعض المناطق يلف على حبل الليف، أو يدخل ضمنه قطع من القماش الذي أصبح بالياً، ليقلل من خشونة الليف فلا يُتعب أو يضر الأيدي. وتستخدم مثل هذه الحبال لرفع الدلاء ولربط الأحمال على الجمال. ومن أشهر أنواع حبال الليف؛ الرِّشا وهو الحبل السميك الذي يستخدم لإخراج الماء بربطه في الغرب. والرشا في جميع مناطق المملكة باستثناء المناطق الجنوبية الغربية يصنع من الليف، وكذا الحال في نجران، أما في باقي المناطق الجنوبية الغربية فيصنع كما مر، من جلود الأبقار.

عمل سرير من الحبال

أرشية

أما المِـرْقَد فهو حـبل مصـنوع من الليف، طوله حوالي ثلاثة أمتار، متوسط السـمك، يلفـه الشخـص الذي يقـوم بتنظيـف النخلة أو تلقيـحها، أو جداد العذوق، حول النخلة ومن خلف ظهره لصعود النخلة والنزول منها. وهذا الاسم يطلق عليه في منطقة نجران، وهو يقوم مقام الكر الذي يُصنع من الليف والقد في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية.

ومما يصنـع من ليف النخـيل أيضاً المَلْـغَبه (المقـاط)، وهو حبـل متوسـط السمك، يصنع من ليف النخل ويصل طوله إلى قرابة ٤٠ متراً أحياناً، يستخدم عند جداد النخل وقطع العـذوق لإنزال العذق إلى الأرض. وهذا الاسم معروف في منطقة نجران. والمقاط يستخدم لهذا الغرض في منطقة الباحة وفي سائر مناطق المملكة الأخرى، ولكن يطلق عليه حبلْ أو مقاطْ.

وكربة الغرب أو الوصله (المَرَسَه)، وهي عبارة عن حبل سميك من الليف، سمكها بـسماكة الرشا وطولها حـوالي مترين ونصف. وتشكـل الكربة مقدمة الرشـا حيث تـربط في أعـلى الغـرب وتوصل بالـرشا وهذا الجزء يدخل مـع الغرب في المـاء، تحاشياً لدخول الرشا المصنوع من الجلد، في بعض المناطق، في الماء حـتى لا يبتل، ويتـعرض بعد ذلك للـجفاف، مما يؤدي إلـى تفككه وضعفه ثم انقطاعه. وتستخدم هذه المرسه

في المناطق الواقعة جنوب الطائف حتى عسير، أما في منطقة عسير فيستعاض عنها بنبات يسمى السَّلب. وفي المناطق الوسطى تعرف هذه الوصلة، كما أسلفنا، بكربة الغرب.

أما الشَّرَك فهو عبارة عن حبلين مصنوعين من الليف في الغالب، سماكتهما أقل قليلاً من سماكة الرِّشا، ويكونان متساويين في الطول، يربط كل طرفين في عود بنفس السماكة تقريباً، ويأخذ هذا العود شكل الزاوية المنفرجة أو شكل قوس. ويصل طول الشرك إلى نحو أربعة أمتار ويستخدم لنقل القمح أو أعواد الذرة أو الحطب بحيث يربط على القتب أو المِسَامَه؛ وهي الأداة التي تثبت على ظهر البعير أثناء تحميله بهذه الأشياء لتقي ظهره من تأثير الأحمال، ويصبح جزء من الشرك على اليمين والجزء الآخر على اليسار مطروحاً على الأرض، وتصف عليه حزم القمح أو الذرة أو الحطب، ويفصل بين الحبلين مسافة تصل إلى ٥٠ سم. وبعد أن يمتلىء كل جزء من الشرك على جانبي البعير، يشد الشرك إلى الأعلى بحيث يرتفع عن الأرض ويثبت في القتب أو المسامه، ويكون الحمل في الجانبين دائماً متساوياً. ويستخدم هذا الشرك في منطقة الباحة وفي ثقيف وبني مالك، كما يستخدم في مناطق أخرى كالمناطق الوسطى والشمالية ولكنه يعرف بأسماء مختلفة مثل المقاط والمرار والعدايل. كما يصنع من الليف حبلٌ يسمى المِجْدل ويستخدم لجمع الكرب والحطب ونحوهما، وهو أصغر من الشبكة.

وتستخدم حبال الليف، بالإضافة إلى مواد أخرى، في عمل عدد من الأدوات والمصنوعات لعل من أهمها الكر وهو أداة صعود النخلة، والشِّبِكَه وهي من أهم أدوات الحطابين وجامعي الحشائش والأعشاب البرية؛ والشبكة، كما يدل اسمها، عبارة عن عدد من حبال الليف المتقاطعة مع بعضها، على شكل مربع يوجد في كل ركن من أركانها الأربعة جازل، يصنع من أغصان أشجار الأثل أو غيرها، كما يوجد أربعة جوازل أخرى في منتصف الحبال الأربعة الخارجية، اثنان منهما يتصلان بحبل في منتصف الشبكة يسمى الصقاع أو العناج. وتستخدم الشبكة في حمل الحطب والأشجار والحشائش البرية حيث ترص داخل الشبكة وتربط بحبل طويل يسمى المرار بمساعدة المحاجين والصقاع. وتحمل الشبكة بعدئذٍ على ظهر الحمار أو الجمل، ويبقى أحد الرجال ممسكاً بأحد أطرافها لحفظ توازنها على ظهر الدابة.

أما المِنْبَرْ فعبارة عن كرسي للجلوس، إلا أن ارتفاعه عن الأرض لا يزيد عن ٢٠سم، له أربع قوائم من الخشب، يصل بينها أربع قطع من الخشب طول كل منها ٥٠سم، وله مسند خلفي من الخشب عرضه ٥٠سم وطوله كذلك، وقد تكون القوائم والمسند منقوشة بأشكال جميلة وقد تكون من دون نقش. وتوصل بين الخشبات الأربع حبال رفيعة من الليف، منسوجة بجوار بعض لتشكل المقعد أو مكان الجلوس على المنبر. ويدعى منبر العروس، لأنه كان في الغالب من الاشتراطات التي لا بد أن يوفرها العريس لعروسه. ويصنع النجار الهيكل الخشبي للمنبر، أما نسج الليف فيقوم به أناس متخصصون. ويوجد هذا المنبر في منطقة بني مالك والباحة وعسير، كما يوجد بمواصفات مقاربة، ولكن مع اختلاف الأسماء، في المدينة وينبع ومعظم مناطق الحجاز.

كذلك تصنع المخام (جمع مخمَّه) من الليف، وهي عبارة عن مكنسة، تتكون من مجموعة من الليف يوضع بعضها في وسط بعض، ثم تلف كما يلف الورق، ويربط أحد أطرافها بحبل دقيق، يكون ممسكاً، ويترك الطرف

صناعة الأدوات الخشبية

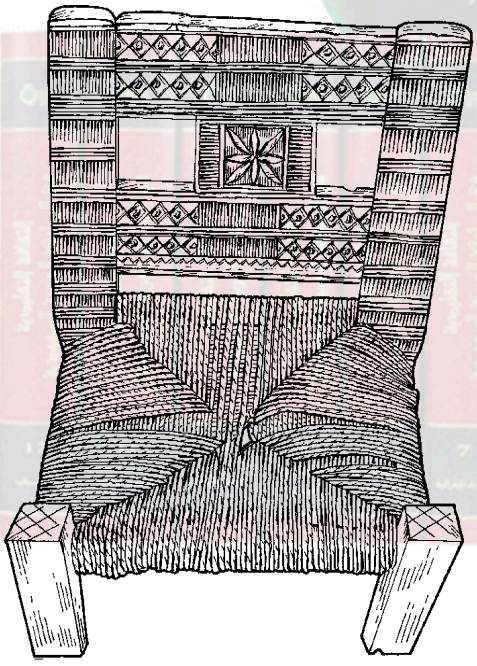

كرسي مضفور بالحبال

الآخر. وفي وادي الصفراء يُصنع من الليف حبال غير سميكة تنظم فيها القلائد من زهو النخيل.

منتجات العذوق. تسمى العذوق عسق النخل أو العراجين أو العراجد في بعض المناطق، ويعتمد عليها في صناعة بعض الأدوات، كاستخدامها بعد نقعها بالماء ودقها في عمل شبكات المناخل والغرابيل، وأيضاً في صناعة السلال والأقفاص، خاصة أجزاءها المعروفة بالصنوخ، وهي أصل العذوق وقاعدتها التي تتفرع منها شماريخ العذق. ومن الاستخدامات الأخرى للعذوق والصنوخ عمل المكانس اليدوية التي تدعى الملفاع والمبراش، والملفاع عبارة عن عذق نخلة ترص أعواده، بعد أن يؤخذ ما فيها من التمر، بعضها إلى بعض، ويربط العذق من وسطه بخيط من الليف أو غيره حتى ييبس، ويستخدم بعد ذلك لتنظيف البيوت. ويعد الملفاع المصنوع من العذوق أكثر أنواع المكانس انتشاراً في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل. وبالإضافة إلى هذا النوع هناك أنواع أخرى من الملافيع تصنع من سعف النخل، ومن بعض الأشجار الأخرى كالعرفج ونحوه. وكذلك المنسف، وهو يشبه إلى حد كبير المنسف المصنوع من سفيف الخوص، وينتج بوجه خاص في مناطق الأحساء والقطيف وما جاورها.

مناسف وقفاف

والمِبْرد ويسمى في الأحساء السُّرُود، وهو ما توضع به القهوة بعد حمسها، وهو أيضاً يشبه المبارد المصنوعة من سفيف الخوص.

وتعد عذوق النخل مادة أولية مهمة، إلى جانب الليف والخوص والصوف والجلود، لعمل الحبال بأنواعها؛ وفي ذلك يقول عبدالله بن دويرج:

أنا ياحج ما عندي بهذا غير غمر صنوخ
أسويهن حبال بين محال ودراجي

ويدل البيت على أن الصنوخ كان يعتمد عليها حتى في صناعة أكثر أنواع الحبال أهمية للمزارع، في الأزمان القديمة، ألا وهي حبال المحّال (الرشا) وحبال الدرّاج (السريح)، التي بواسطتها يرفع الماء من الآبار عن طريق الغروب والسواني.

منتجات الجذوع. جذوع النخل (النبوع) من المواد الأولية الأساسية، التي كان الناس في العصور الماضية، خاصة المزارعين، يستخدمونها في العديد من شؤون حياتهم سواءً بحالتها الأولية، أو كمادة خام تعتمد عليها صناعة العديد من الأدوات والمصنوعات المختلفة.

ويمكن بإيجاز شديد أن نلقي الضوء على بعض هذه الاستخدامات، التي مرت الإشارة إلى بعضها فيما سبق، على النحو التالي:

الدوامغ والأنباع (الحوامل)؛ الدوامغ جمع دامغة، الخشبتان الرئيسيتان، اللتان توضعان على زرانيق البئر وعليهما توضع الأنباع التي تحمل محّال السانية. والدوامغ، كما مر من قبل، هما عبارة عن جذعين من جذوع النخل القوية، وعادة يفضل نوع المقفزي أو الفحاحيل لأنها تتميز بمتانتها وقوتها. أما الأنباع التي تعرض على الدوامغ فعبارة عن شرائح من جذوع النخل. وعادة يشق الجذع الواحد إلى أربعة أجزاء تكون كافية لحمل محالتين، حيث تعتمد كل محالة على اثنين من الأنباع. أما الكَافَّه فهي خشبة تصل بين الزرنوقين الأماميين، وتكون على حافة اللزا مما يوالي القليب، وقد تتخذ من جذع نخلة وقد تكون غير ذلك.

وتستخدم جذوع النخل على نطاق واسع في سقوف المنازل في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل. وأكثر ما تستخدم جذوع النخل لعمل ما يعرف بالسَّاكِف أو الكاسور، وهو ما يصل بين السواري (الأعمدة) في المصابيح، لتحمل عليه الأخشاب الأخرى. يشق الجذع الواحد عادة إلى عدد من الشرائح، تكون

أربعاً في الغالب، ويعمل منها هذه السواكف ونحوها.

ويكثر استخدام الجذوع في مزارع النخيل، لعمل القناطر التي تعلو السواقي وقنوات الري للمرور عليها، خاصة في مناطق العيون كالأحساء والقطيف والمدينة وينبع وخيبر. وقد يستخدم الجذع بعد تجويفه لتربية النحل، فيوضع في كهف في الجبل وتبنى عليه حجارة ويسمى (منحلة).

وتستخدم عبّارات المياه (المريان) (احدها مري)، كذلك من جذوع

عبارة مياه (مري) من جذع نخلة

النخل، بعد شقها إلى نصفين وتفريغها من الداخل لعمل عبَّارات تجري فيها المياه. وتزداد الحاجة لعمل هذه العبَّارات في مناطق العيون التي تتقاطع فيها مجاري المياه، وتتشابك فيها الملكيات وحقوق المياه.

والميجمة، أداة تستخدم لدق الحبوب وهرسها، وهي عبارة عن قطعة من جذع النخلة يفرغ من الداخل، وقد سبق الحديث عنها في أدوات دق الحبوب.

وتعد جذوع النخل من المواد المهمة، التي تعتمد عليها صناعة بعض أنواع الأبواب في العصور الماضية. وتصنع هذه الأبواب من شرائح من لب جذوع النخلة (الشطيب) ترص إلى جانب بعضها، وتثبت بمسامير حديدية، أو بربطها باحكام بشرائح من القد الجيد. وهذا النوع من الأبواب، قد يعتمد كلياً في صنعه على شرائح الشطيب، أو قد يدخل أحياناً في صنعه ألواح من خشب الأثل أو غيره، خاصة لتشكيل إطاره الخارجي. وتتصف الأبواب المصنوعة من لب جذوع النخل، كلياً أو جزئياً، بأنها من الأبواب القوية السميكة. وهي ذات أحجام مختلفة، حسب الاستخدام وطول جذع النخلة، وغالباً ما تكون كبيرة. ويكثر استخدامها في المداخل الخارجية. أما

الأبواب الداخلية للمنزل والغرف فتصنع من خشب الأثل أو الطلح أو السدر أو الغرب ونحوها، وغالباً ما تزين بالنقوش والزخرفة، على خلاف الأبواب الخارجية.

وقد كانت تستخدم جذوع النخل في الماضي، شأنها شأن أجزاء النخلة الأخرى، كالكرب والعسبان اليابسة، مادة للوقود بعد تقطيعها إلى شرائح وقطع صغيرة. كما تستخدم في دعم العقوم أو السدود لحماية المزارع من اندفاع السيول؛ أو هي قد تغرز في الأرض لصد السيول.

المصنوعات المعتمدة على الأشجار المحلية

تشكل الأشجار التي ينميها المزارعون في حقولهم، أو التي تنمو نمواً طبيعياً في البيئة المجاورة لهم، كأشجار الأثل والسدر والطلح والزيتون والغرب والعرعر وغيرها بالإضافة إلى أشجار النخيل، مورداً أولياً مهماً كان يعتمد عليه الناس في العصور الماضية، في عمل تشكيلة كبيرة من الأدوات والمصنوعات المختلفة. فمن ذلك، الأدوات المستخدمة في الزراعة، وتضم عدداً كبيراً من الأدوات التي يستخدمها المزارع، بدءاً من أدوات السواني، وانتهاءً بالحصاد والدياس وتنقية الحب. وهي تشمل الأدوات التالية؛ أدوات السانية وعدتها، وقد سبقت الإشارة إليها، وأهمها؛ المحالة والدراجة وأعمدة الدراجة وخشبة السماح والكافة، والدوامغ والأنباع، كما تشمل أيضاً كَتَبْ الدابة ومقرن الثيران، والمحاريث الخشبية بأنواعها المختلفة، والأدوات المستخدمة في تسوية الأرض كالمدمام وغيره، وقد فصل الحديث عنها في أدوات الحراثة.

والأنصبة من الأدوات التي يستخدمها المزارعون وغيرهم، في الحفر والحرث والتسوية والحصاد ونحو ذلك. وتضم المسحاة والفاروع والقدُّوم والصلاخ والمقشعه، كما تضم المحش والعكفاء (المجرده) والمحطب والمسلا. وقد أشرنا إلى هذه الأدوات في مواضعها. وكذلك أدوات تنقية الحب ودقه مثل إطارات المنخل والغربيل، والكابون والمطبله والمهراس (المهباش). والمكاييل كالصاع والمد والنصيف والربيع، وقد سبق الحديث عنها.

كما يصنع من الأشجار المحلية الأواني والأدوات المنزلية، وأهمها أواني المطبخ وأدوات القهوة وأدوات التعليق. ومنها الصُّحَفَه أو القدح وتجمع على

صِحَاف، وهي عبارة عن إناء يشبه الصحن ذى شكل دائري، ينحت من خشب الغرب والعلب والطلح والزيتون في المناطق الجنوبية الغربية، أو من أخشاب الأثل والسدر السميكة في سائر المناطق الأخرى. ولها جوانب ترتفع عن سطحها ما بين ٥-١٠سم، وهي تستخدم لتقديم الطعام حيث يكتسب الطعام فيها نكهة طيبة. والصحاف أنواع وأحجام عديدة، منها الصغير الذي يكفي لشخصين أو ثلاثة، ومنها الكبير الذي يستخدم لتقديم الطعام، في الموائد والمناسبات الكبيرة. والصحاف الكبيرة لها في العادة عروتان، وربما ثلاث تحمل بها عندما تملأ بالطعام. وتزين الصحاف في الغالب، خاصة في المناطق الجنوبية بالنقوش والزخارف، كما تطلى بالقطران من الخارج والسمن البلدي (البري) من الداخل، قبل أن تصبح جاهزة للاستخدام. وتعتبر الصحاف من مستلزمات البيت الضرورية في المناطق الجنوبية الغربية، وهي من الأثاث المهم عند تأثيث بيت الزوجية حيث كان الرجل لا يتزوج إلا إذا زين بيته بعدد من الصحاف قبل الزواج. أما في المناطق الأخرى فانتشارها قليل، ويقتصر وجودها في معظم الأحوال على بيوت ذوي الثراء.

صحفة وقدح ومشعاب

والمِيْقَعَه (الموقَعَه)، إناء خشبي مقعر ذو شكل دائري، يزين بالنقوش والزخارف، وقد يدار عليها من الخارج شريحة من القد لتمنع كسرها أو انفلاقها، والميقعة من الأواني المنتشرة على نطاق واسع في معظم المناطق خاصة في نجد، حيث كانت تقوم مكان الصحفة، التي توجد بشكل كبير في المناطق الجنوبية الغربية. وتصنع الموقعة في الغالب من أشجار الأثل، وهي أحجام مختلفة يكفي بعضها لإطعام خمسة عشر رجلاً أو أكثر. والأطعمة التي تطيب داخلها خاصة، الثريد والجريش والعصيد والقرصان. والميقعة كالصحفة تكسب الطعام نكهة خاصة ومميزة، ولذلك كانت منتشرة عند جميع السكان بمختلف طبقاتهم. ويصنع من خشب الغَرَب وعاء على هيئة نصف كرة ويسمى الكعده وتجمع فيه النساء زبد الأبقار حتى يمتلىء ثم يطبخنه ليتحول إلى السمن. كما يصنع القدحُ من خشب الأثل أو الطلح، وهو بحجم إناء الشرب ويحلب فيه اللبن ويقدم للضيوف. وتصنع المباخر أيضاً من أخشاب الأشجار المحلية كالأثل والطلح، ثم تغلف من الداخل برقائق معدنية أو تزين بالألوان المختلفة.

أما المُغْرُفَه أو المخشاقه أو الخاشوقه كما تُسمى في المدينة المنورة وما جاورها- فهي أداة تصنع من الخشب، لها قدح دائري ويد متصلة به. وهي كالمغارف الموجودة في الوقت الحاضر، تستخدم لغرف الطعام من القِدر في الميقعة أو الصحفة أو الصحن. وتصنع المغرفة في المناطق الوسطى من أشجار الأثل، أما في جنوب الحجاز وجنوب غرب المملكة فتصنع من الأشجار المتوافرة هناك خاصة الغرب والطلح. وتدعى في هذه المناطق المِنطافه أو المنطاف أو المجدح. وللمغرفة (المِجدح) أحجام مختلفة، أصغرها تعرف في بعض المناطق باسم الكفشه (القفشه).

والقِنَّارَه، وتعرف في الأحساء باسم السباج، هي عبارة عن ثلاثة أعواد خشبية قوية، يتراوح طولها بين ١,٥ إلى ٢,٥ متر، يتم ربط رؤوسها معاً بواسطة حبل من الليف، عن طريق فتحات معدة لهذا الغرض في كل واحدة منها. وتُنصب القنارة ويباعد بين أرجلها الثلاث، حيث تستخدم في تعليق الأشياء بواسطة محاجين خشبية تتدلى من أعلاها. والقنارة من الأدوات المهمة، التي لا يستغنى عنها في الماضي حيث تعلق بها قرب الماء لتبرد، كما تستخدم في خض اللبن بواسطة الصميل (السقاء). وبالإضافة إلى ذلك تستخدم القنارة أيضاً في تعليق كل ما يحتاج إلى تعليق، من

الاحتياجات والمستلزمات المنزلية المختلفة. كما تستخدم لتعليق الذبائح أثناء سلخها.

والمحاجيْـن ومفردها مِـحْجَان، أو الجوازل، ومفردها جازل، هي عبارة عن قطع خشبية من أغصان الشجر، تقطـع عند التقاء غصنين ببعضهما، بحيث يكون المحجان ذا طرفين يحز أطـولهما، عند نهايته ويربط به حبل من الليف كما يربط مع نهايته الأخرى، ويُطلق المحجان في معظم الأحيان علـى العصا نفسها التي في رأسـها محـجان، وهذه المحـاجين والجوازل، أدوات لـلتعـليـق والربط، وتدعـى معـاليقْ، تـعلق بـها الـقرب والصملان وما أشـبه ذلك. والمحاجين من الأدوات التي كـانت تنتشر بـشكل واسع في البيوت القديمـة، ولا يستغني عنها أي منزل.

والمُوْجَاه (نجر الخـشب)، والمهابش والنجر هي قـطعة من خشب الأثل أو غيره يحفر أعـلاها فيصبح على شكل حوض صغـير، تستخـدم لدق القهـوة والهـيل كما تـستخـدم لدق البهـارات والمساحيق وغيرها. والموجاه تشبه أدوات دق الحبوب كالمهراس والميجمة والمنحاز، ولكنها صغيرة الحجم، كما أنـها تصنع من الأخشاب. ويستخدم الرعاة محجاناً طويلاً يهشـون به الأغصان أو يميلونهـا لترعاها غنمهم. والمحجان هو المحجن.

محاجين بأحجام مختلفة

ومُبْـرد الخشب أو المـبراده وهو ما يستخدم لتبريد القهوة بعد حمسها قـبل أن تدق أو تطحـن. ويصنع هذا النوع من المبارد من خشب الأثل أو غيره ويشبه شكـله المبارد المـصنوعة مـن السفـيف وعذوق النخل التي سبقت الإشارة إليها. وبعض المبارد الخشبية قد يختلف شكله العام عن تلك المذكورة آنفاً، حيث يكون شكله مثلثاً تقريباً وله ثعبة في رأسه تفرغ منها القهوة. وقد يزين المبرد الخشبي أحياناً ببـعض الزخـارف والنقـوش المحفورة وببعض المسامير الصغيرة (القمور) متعددة الألوان.

ومن المـصنوعات والاسـتخدامات الأخرى الأبواب والدرايش (الشبابـيك) التي اعتمدت في صنعها علـى عدد من الخامات الزراعية الأولية. وهي تختلف من باب إلى آخر حسب أهمية واستخدام الأبواب ذاتهـا، وحسب ما هو متـوافر من مواد في البيئة المحيطة. وعلى الرغم مـن تعـدد هذه المـواد إلا أن أخشـاب الأشجار المحلية كالأثل والغرب والسدر والـطلـح والزيـتون، تـظل هـي المادة الأسـاسيـة لصـنع الأبـواب والنـوافذ (الدرايش)، سواءً جزئياً أو كلياً. ولقد أشرنـا سابـقاً إلـى أن بعـض الأبواب الخارجية والأبواب غير المهمة، قد تصنع من جريد النخل أو جذوعه، إلا أن هذه الأبواب قـد لا تخلـو في الغالـب من استخـدام ألواح من أخشـاب الأشجار المحلية، خاصة لعمل أطرها الخارجية. أما الأبواب الـرئيسية والمـهمة، خاصة أبـواب الغـرف الداخـلـية والمـساجـد والدكاكين ونحوها، فلا تعتمد على جريد النـخل أو جذوعه وإنمـا على أخشـاب الأشجـار الأخرى كالأثـل في المناطـق الوسطى، والغرب والزيتون والطلح في المناطق الغربية والجنوبية الغربية.

وتتميز الأبواب من هذا النوع بالقوة والمتانة، لأن ألواحها تشد بواسطة مسامير

باب قديم

حديدية تعمل محلياً. كما أنها أدق صنعاً وأجمل شكلاً من الأبواب الأخرى، وغالباً ما تزين بالنقوش والزخارف التي تعمل بواسطة النحت، ثم تطلى بعدد من الألوان الجذابة.

ويدخل تحت هذا النوع من الأبواب عدد من الأبواب الصغيرة، كأبواب جصص التمر وكمارات القهاوي، الموجودة في المجالس القديمة، وأبواب العرزالات ونحوها. كما تعتمد على هذه الأخشاب صناعة النوافذ (الدرايش)، التي كانت توجد بوجه خاص في القهاوي (المجالس) والدهاليز وقاعات البيت الرئيسية والمصابيح (الطبقة الثانية من البيت). وكانت هذه الدرايش تزين بتشكيلة من الزخارف والنقوش الجميلة، وبحلق حديدية ونحاسية، وبالعديد من القضبان الحديدية.

وبالإضافة إلى هذه الأبواب التي تعتمد في صنعها على موارد البيئة المحلية، كانت توجد أبواب أخرى، خاصة في العصور المتأخرة، تعرف بأبواب الساج، وهي تعمل من الخشب أيضاً ولكنه نوع مستورد من الخارج؛ وهي كأبواب الأثل أو الغرب، تنقش وتزخرف ويصنع منها أبواب مختلفة الأحجام. ولما كانت هذه الأبواب أعلى في تكلفتها من الأبواب الأخرى، فغالباً ما يقتصر استخدامها على الأماكن المهمة، خاصة لدى الأغنياء والموسرين.

وتدخل الأخشاب، وخاصة الأثل في عمل أسقف المساجد والبيوت.

سقف مسجد قروي من خشب الأثل

والسَّحَاره (الفاتيه)، هي عبارة عن صندوق يصنع من الأخشاب المحلية، ويكون له غطاء من جنسه وقد يكون له قفل، وبعضها يكون له أربع أرجل صغيرة من الخشب، ترفعه قليلاً عن سطح الأرض. وتزين السحارة بالزخارف والنقوش والمسامير الصغيرة الملونة (القمور). وتستخدم لحفظ ملابس النساء وأدواتهن، وكانت منتشرة على نطاق واسع في معظم أنحاء الجزيرة العربية، بل كانت تعد من المتطلبات الرئيسية لتأثيث بيت الزوجية.

وبالإضافة إلى هذا النوع من السحارات الذي يعتمد في صنعه على الأخشاب المحلية، ويعرف باسم الفاتية، هناك نوع آخر يُصنع من أخشاب الساج المستوردة من الهند، وهو أتقن صنعاً وأغلى ثمناً وأكثر جمالاً وزخرفة. ولذلك توجد الفاتية كثيراً عند متوسطي الحال ومحدودي الدخل بينما توجد سحارات الساج، التي تسمى السيسم، عند الأغنياء وذوي اليسار. وتستخدم السحارة غالباً لدى البدو عند التنقل من مكان لآخر، أما الفاتية فهي ثابتة لدى الحضر ويكون عليها نقوش وزخارف.

ومما يعمل من الخشب الطُّرْمَه وهي على هيئة صندوق تبرز من الجدار الخارجي للمنزل فوق الباب الرئيسي وبها ثقب، يطل منه صاحب المنزل ليرى عابر الطريق أو طارق الباب. وتسمى بمنطقة حائل الكاتوله ولعلها القاتوله من القتل، لأن من بالداخل ينظر من خلالها إلى

صناعة الشداد

الشداد

من بالخارج، فإن كان عدواً قتله. والشُّدَاد وهو ما يوضع على ظهر البعير وهو أنواع عدة، كالقتب والحدجة أو الحداجة والمسامة والغبيط والهودج. والمحامل الخشبية وهي توضع على ظهر البعير أيضاً، وتستخدم لحمل الحصى (الخرز) وما أشبه ذلك، من الأشياء الثقيلة كالأخشاب.

وبالإضافة إلى ما ذكر، تصنع من الأخشاب المحلية مجموعة من الأدوات المختلفة كالأوتاد والأخلة التي تثبت في جدران الغرف والمصابيح وتعلق بها الأشياء، والسُّرر والكراسي والعصي بأنواعها.

وإلى جانب الخامات العديدة المستمدة من النخلة أو الأشجار المحلية، التي كانت تشكل المورد الرئيسي الذي يعتمد عليه في صنع العديد من الأدوات والأواني والمصنوعات فإن ظروف الحياة في ذلك الوقت كانت تحتم على سكان هذه البلاد من المزارعين وغيرهم، أن يستفيدوا من كل ما تقدمه لهم بيئتهم المحلية لاستخدامه في شؤون حياتهم المختلفة.

ويكفي هنا أن نعطي مثالين فقط من استفادة الناس في ذلك الوقت من بعض الخامات والمنتجات الزراعية، ليتبين لنا مدى الارتباط بين الإنسان وبيئته وموارده، وحرصه الشديد على الاستفادة من كل ما هو متاح، وتوجيهه في كل ما يعود عليه بالفائدة.

فالتبن، وهو ما يتخلف من أوراق وسيقان محاصيل الحبوب بعد دياستها وتصفية حبوبها، فإن أوجه الاستفادة منه متعددة غير أن من أهمها بعد استخدامه علفاً للحيوانات؛ استخدامه في حشو الوسائد والمخدات والمساند والمراكي وبدود المسامة والأشدة والحداج، بجانب استخدامه في البناء حيث يخلط مع الطين ليزيد من تماسكه وقوته. ويكثر خلط التبن مع الطين بعد تخميره بالماء ليوم أو يومين في مشاش (تلييس) الجدران المبنية من اللبن أو الحجر. كما يستخدم الطين المخلوط بالتبن في سطوح المنازل، حتى يمنع تسرب المياه، وفي عمل أرضيات الغرف والمجالس والمصابيح وغيرها. ومن الاستخدامات

الأخرى لهـذا النوع من الطـين المخلوط بالتبن، استخدامـه في بعض المناطق في تسوية وتحسين المكان المعد لدياسة الحبوب وذرايتها الذي يدعى القوع أو مكان تجميع التمور وفرزها الذي يدعى المربد.

كما استخدم القَرَع للحفظ، والقرع الذي كان يستخدم لهذا الغرض هو من نوع القرع الطويل، الذي يسمى في بعض المناطق قـرع اللام، وفي مناطق أخـرى الرقيبيه وهو يشبه اليقطين الذي جاء ذكره في القرآن الكـريم، قال تعالى ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾. ولتحويل القرعة إلى إناء للحفظ يتم تجويفها من الداخل بإزالة لبهـا وحبها من فتحة في أعلاهـا (رقبتها)، ثم تترك حتى تجف. تحاط هذه القرعة بعـدئذٍ بشبكة من الحبـال تتصل بعروة في أعلاها تعلق بها في جازل يتدلى من سقف إحدى الغرف أو تعلق بالقنارة ويخض بها اللبن. وبعضهم يستخدمها لحفظ السمن أو الودك أو العسل.

ومن السدر تصنع أنابيب الغلاويـن (الغليون) ذات الرؤوس الفخارية.

كما يصنع منـه ومن القصب الناي والمقرون، كما يستخدم ورق السدر بعد تجفيفه وطحنه لغسل الشعر وتنظيفه.

ومن شجر الشوحط تُصنع العصي والسهام والنبال والأقواس.

ومن لحـاء الأشجار تصـنع الحبال والأرشية وفتيل البنادق أم فتيل.

ومن الشجـر الجيد يصنع الفـحم ويتاجر به وبالأحطاب كما تتخذ الحبال من لحائـها. كما تصـنع الأرفف في المـساجـد والدور، وكـذلك بـعض الألعـاب ووسائـل التـرفيـه وأدوات الصيد.

ومن شجر الليمون تصـنع النبابيت (جمع نبوت) وهي عصا غليظة ولكنهم يعالجونها بالماء والزيت والدهن حتى تشتد وتسـتخدم فـي المضاربـات وأكثـر من يستخدمها الفتيان (الفتوة).

ولما كانت العصا مهمة في حياة الناس في الماضي فإنهم يستخدمون الباكورة من الخيزران وتنتهي بانحناء دائري، والخيزرانه بدون كوع، والعصا وهـي أكثر سماكة من الخيزرانة، والمطرق وهي كالخيزرانة وليس لها لدانة، والمشعاب عصا تنتهي بعكفة تقطع من بداية فرعين. والعجرة وهي عصا غليظة ولا تحمل في المجالس والطرقات ولكنها تعد للدفاع عن النفس مثل الشون أو النبوت.

ومن أعواد العرعر والحرمل والتنضب يتخذ فحم يضاف إلى ملح البارود عند تصنيـعه ليكتسـب لون السواد وسرعة الاشتعال.

وصناعة الجص والنورة كانتا تعتمدان على الحطب.

ومن ثمار الرمان والعصفر وشجر البشام والعرن تعمل الألوان.

أما المَدَّه فهي تشبه الحصير، ولكنها تختلف عنه في مادتها الأولية وفي طريقة صنعها (حياكتها). وتعتمد صناعة المداد على نبات عشبي طويل يسمى الأسل، ينمو في المناطق التي تكثر فيها المياه والمستنقعات كالأحساء والقطيف، حيث يوجد قرب العيون وفي مجاريها الرئيسية. ولذا فصناعة المدات توجد بوجه خاص في المنطقتين المذكورتين. ويمارس صناعة المدات أو المداد حرفيون متخصصون يتوارثون المهنة جيلاً بعد جيل. ويبدأ الحِرَفِيُّ عمله بجز (حصد) نبات الأسل ونشره في الشمس، قرب المكان الذي حصد منه ليبقى هناك حوالي ثلاثة أسابيع، ليتحول فيها لونه من الأخضر إلى الأبيض أو الأصفر الفاتح. وعندئذ يربط في حزم ويؤخذ إلى بيت الحِرَفِيّ، ليحفظ في مستودعات خاصة. ويأخذ الحِرَفِيُّ منه كل يوم بقدر حاجته، وينقعه في الماء قبل أن يشرع في حياكته. وصنع المداد (حياكتها) تشبه إلى حدٍّ كبير، حياكة النسيج، حيث يتم إدخال نباتات الأسل وسط منظومة من حبال الليف الدقيقة.

والمدات، كالحُصُر، ذات مقاسات عدة منها الصغير، الذي لا يزيد حجمه عن سجادة الصلاة الصغيرة (المصلى)، ومنها الذي يصل طوله إلى عشرة أمتار أو أكثر، وكانت تستخدم لفرش المساجد في السابق، كما تستخدم للجلوس عليها في المنازل ووضعها تحت فرش النوم ونحو ذلك.

وهكذا فإن العرض السابق لمجمل الأدوات والمصنوعات المعتمدة على الخامات والموارد الزراعية، إنما يوضح مدى أهمية هذه الخامات للمزارعين أنفسهم، ويشير أيضاً إلى مدى أهمية هذه الموارد للعديد من الحرفيين الآخرين، كالنجارين والخرازين وفتالي الحبال وصانعي الأقفاص والسلال وحائكي السفيف وغيرهم، لاعتماد حرفهم على تلك الخامات المتعددة. من جهة أخرى فإن المزارع لا يستغني عن معظم هؤلاء الحرفيين لعمل أدواته وحاجياته، كالمحَّال والدراج وحبال الليف وأنصبة المعدات المختلفة والحراث والمدمام وغيرها، ولذلك نشأت علاقة قوية بينهم وبين الفلاح، قامت على تبادل المصالح والمنافع لأن كل واحد منهم يعتمد في حرفته على الآخر.

المصنوعات الجلدية والصوفية

توفر حيوانات المزرعة عدداً من المواد الخام الأساسية تعتمد عليها العديد من المصنوعات والأدوات التي يحتاجها المزارع، سواء لتلبية متطلبات الزراعة أو لسد احتياجاته المنزلية الأخرى. ويمكن حصر هذه المصنوعات تبعاً للمادة الخام الداخلة في صنعها، تحت مجموعتين رئيسيتين هما: المصنوعات الجلدية والمصنوعات الصوفية.

المصنوعات الجلدية. تعتمد المصنوعات الجلدية في مناطق المملكة عامة على جلود الماشية من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم)، وعلى جلود الصيد من ظباء ووعول، بل وتستعمل جلود الأرانب والضبان أحياناً في بعض المصنوعات، حيث تستخدم الأولى لعمل الأحذية في بعض بلدان نجد، وتستعمل جلود الضبان بعد دباغتها لعمل أنواع من العكك الصغيرة لحفظ السمن تسمى ضبيه.

والمصنوعات المعتمدة على الجلود من الأدوات الضرورية لسائر الناس في العصور الماضية، فالفلاح يعتبرها من ضروریاته الملحة لاستعمالها في صنع غروب الماء، وغير الفلاحين لا يستغنون عنها لعمل تشكيلة كبيرة من الأدوات، كالقرب والصملان والعكك ونحوها. ومهنة دباغة وتشكيل وخرازة الجلود مهنة قد يزاولها الرجل والمرأة. فإن كانت المصنوعات المطلوبة من متطلبات الأسرة فإن المرأة تقوم بها لعمل ما تحتاجه من أغراض، خاصة القرب والصملان. أما الإنتاج على نطاق واسع فيتولاه رجال متخصصون في أعمال الدباغة والخرازة، يمتهنون هذه الحرفة كمهنة أساسية أو ثانوية.

ويبدأ الخراز عمله بغمس الجلود المنتقاة في أحواض ملأى بالتمار، وهو عبارة عن حبوب ذرة أو شعير مجروشة ومخمرة بالماء، أو التمر المطبوخ طبخاً خفيفاً. وتظل الجلود في هذه المواد المتخمرة لمدة أسبوع أو أكثر حتى تتشبع من المواد المتخمرة في التمار. وتخرج الجلود من التمار وينزع عنها صوفها وتنظف وتجفف ثم تنقل لأحواض أخرى ملأى بالدباغ، حيث تترك لمدة أربعة أيام ويتم تقليبها بين الحين والآخر حتى تتشرب الدباغ، ثم تخرج منه وتنشف وتدهن بالودك (الشحم المذاب) لتصبح ناعمة قابلة للاستعمال.

وتختلف المواد المستخدمة في دباغة الجلود حيث يعطي كل نوع منها للجلد المدبوغ لوناً ورائحة مميزة وطراوة

ملموسة. ومن أشهر ما يستخدم في دباغة الجلود غصون وأوراق شجر الأرطى والمعروفة في بعض مناطق الأحساء بالدباغ، والجلود المدبوغة فيه تأخذ اللون الأحمر الفاتح. وكذلك نباتات العرن وهي أشجار جبلية لها وريقات صغيرة والجلود المدبوغة فيها تأخذ اللون الأحمر القاني.

ومن المواد المستخدمة في الدباغة ثمر شجر الأثل (الكِرْمع)، وأغصان نبات العاقول، وهو نبات شوكي ينبت بكثرة في السباخ وداخل الحقول. وتستخدم نباتات الشث لدباغة الجلود في المناطق الجنوبية الغربية، كما يستخدم قشر الرمان للغرض نفسه. كما أن هناك العديد من النباتات والحشائش التي تستخدم للدباغة وتختلف من منطقة إلى أخرى.

ويحرص الجزار على سلامة الجلود من الثقوب ونظافة الجلد عند السلخ من اللحم الملتصق به، لأن ذلك يعيق عملية الدباغة. ثم يفرد الجلد ويوضع داخله ملح أو ورق حماط أو تبن مجفف ومطحون وذلك لامتصاص الماء وإذابة الشحوم من الجلد.

ثم يغمر في إناء فخاري أو غير فخاري أو حوض مليء بالماء الممزوج ببعض أوراق الشجر كالشث، ويبقى الجلد فترة أسبوع يقلب كل يوم عدة مرات فيتساقط الشعر وتزول الرائحة.

ثم يخرج من الغمر وينظف ويدهن بالشحوم وينظف من العوالق ويعرّض للشمس ثم يدهن بالسمن أو الزبدة لِيَلين وتُزال منه البشرة وهي التوءات الداخلية. ويغمر بعد ذلك في ماء العرن، وهو نبات جبلي قصير السيقان تؤخذ جذوره وأخشابه فتدق وتطبخ ولها مرارة ثم تصفى لتوضع على الأدم (جمع أديم وهو جلد الأنعام)، وبعد أن يتشرب الجلد بالعرن يكتسب رائحة طيبة، فإن كان يُعد لحفظ الماء كالغرب والبدار والدلاء ترك بها الماء يوماً أو يومين ثم أفرغ وهكذا حتى يتخلص من مرارة العرن ثم يستخدم، وإن كان لا يستخدم للماء كالعياب والحساكل والجربان (جمع جراب) وغيرها جفف واستعمل. على أن القرب يتغير طعم الماء بها بعد فترة من استخدامها لذلك يعمدون إلى غمرها في ماء العرن مرة أخرى أو ماء البشام لتزول ملوحتها وتتجدد جودتها.

وبعد أن تدبغ الجلود وتدهن بالودك، يبدأ الخراز تشكيلها وخرازتها لعمل ما يريد من أدوات ومصنوعات مثل الدلو ويصنع من جلود الماعز أو الثيران أو الجمال، وهو وعاء شكله نصف بيضاوي

يُسمى القلص، يثبت في أعلاه خشبتان متقاطعتان تسميان العرقاة، يربط بهما حبل الدلو. ويستخدم الدلو كالغرب في رفع الماء من الآبار، ولكنه يختلف عنه بأن له حبلاً واحداً يحمله، ولذلك لا يتدفق الماء منه تلقائياً عندما يصل إلى رأس البئر بل لا بد أن يقف رجل هناك ليتلقفه ويفرغ ما فيه. ورفع الدلاء من الآبار (الزعب) قد تستخدم فيه الحيوانات، وقد يكون بسواعد الرجال. وفي حين يكون استخدام الغرب قاصراً على الفلاحين، فإن الدلو يستخدم غالباً من قبل سكان البادية. وفي عصور متأخرة نسبياً أصبح الدلو يصنع من الرَبَل بدلاً من الجلود. وهناك نوع من الدلاء يصنع من جلود الإبل وهو أكبر حجماً من الدلاء العادية ويعرف بالقَلَص.

أما القِرْبَه فتصنع من جلود الماعز والضأن وتستخدم لنقل الماء وتبريده. وهي عبارة عن جلد كامل يخرز من قاعدته وتصر أو تخرز مكان أيدي الشاة وأرجلها ويبقى مكان رقبتها فماً للقربة. ويختار لصناعتها عادة أكبر جلود الماعز والضأن بشرط أن يكون خالياً من الثقوب. والقربة قد تعمل بواسطة النساء، وقد يؤخذ الجلد للخراز بعد دباغته ليتولى خرازته وتصنيعه. ويكون للقربة حبل من الليف ملفوف عليه بعض الخِرَق يصل بين رجليها ويديها. وقد يكونان حبلين يصل كل واحد منهما بين

القربة

كل يد ورجل على حده. وتستخدم النساء هذه الحبال لتعليق القربة على أكتافهن عند حملها لنقل الماء من البئر إلى المنزل، وقد تحمل القرب على ظهور الحيوانات إذا كان البئر (المروى) بعيداً. وفي بعض المناطق لا تُستخدم حبال الليف في حمل القرب، إنما يُستخدم المجدول والمحقبه، وهما مصنوعان من الصوف.

ويستخدم بعض القرب لتبريد الماء في الصيف، وأفضلها للتبريد ما مضى على صنعه عدة سنوات حتى جف وأصبح قاسياً ويعرف هذا النوع بالشَّنَّه. وتعلق قِرَب التبريد إما بمعاليق مثبتة على الجدران أو بواسطة محاجين (جوازل) تتدلى إما من سقف البيت أو من القنارة. وتكون في كل بيت عادة سقيفة صغيرة، غالباً ما تكون عند مدخل المنزل وفي مكان يطرقه الهواء باستمرار، تعلق فيه القرب، ويكون إلى جانبها أقداح ومساقي (جمع مسقى) للشرب تسمى واحدتها طاسة وهي مصنوعة في الغالب من النحاس الأحمر. والقربة معروفة باسمها واستخداماتها في مختلف مناطق المملكة، غير أنها تعرف أحياناً بأسماء أخرى كما هو الحال في نجران حيث يطلق عليها الغَرْب.

والصِّمِيل أو الشِكْوه (السقاء) أو البدره، وعاء يشبه القربة تماماً، ولكنه أصغر منها حجماً لأنه يصنع من جلود صغار الغنم أو الماعز، وقد لا يحتاج إلى خرازة فيكتفى بربط (صَرّ) قاعدة الجلد وكذا فتحات الأيدي والأرجل؛ يقول الشاعر:

سقى الله سقى الله من سقاني وانا ظميان
وعلق لي البدره على الدرب واسقاني

ويستخدم الصميل لخض اللبن الرائب، إما على الأرجل مباشرة أو بتعليقه في القنارة أو محجان يتدلى من سقف المنزل. ويُملأ السقاء إلى منتصفه تقريباً باللبن ثم يرفعون السقاء إلى أعلى مفتوحاً ومجوف النصف الأعلى منه بشد يدّى السقاء، فيمتلىء بالهواء ثم يحكم ربطه في حالة انتفاخه، فيحتفظ بهذا الانتفاخ، ويهز هذا الصميل حتى يصبح اللبن جاهزاً. وعندئذ يستخرج الزبد ويبقى اللبن في الصميل معلقاً في إحدى زوايا المنزل ليستهلك خلال اليوم، وتكرر العملية في اليوم التالي. وغالباً ما يقوم بهذا العمل النساء الكبيرات في السن في الصباح الباكر.

ويستخدم الصميل أيضاً من قبل الرعاة والمسافرين لنقل الماء وتبريده؛ وفي هذا المعنى يقول عبدالله بن سبيل:

صميل (سعن)

لا تـاخذ الـدنيـا خراص وهـقوات
يقـطعك مـن نقـل الصمـيل البـراد

ويقول عبدالله اللويحان:

تغير الما القـراح اللي بوسط الصميل
خلان مـا عاد تقـبل شوف خـلانها

ويعرف هذا النوع من الصملان في بعض المناطق، خـاصة المناطق الجنوبية الغربية باسم (السُّعن).

هذا بـالإضافـة إلى أدوات أخـرى تصنـع من الجلود مـثل (المِرْوَب) وهو صميل كبير يستخدم لترويب الحليب قبل خضه، ويوضع في مكان دافىء في فصل الشتاء وبارد في فصل الصيف حتى يروب الحليب فيه.

والعُـكَّه وهـي وعاء صـغير يـشبـه الصميـل، يصنع عادة من جلـود صغار الماعز أو الضأن، ويستخدم لحفظ السمن. وهناك نوع من العكـاك يصنع من جلود الضبان، خاصة في نجـد وهو أصغرها- كما أسلفنا. وتدهن العكة بالدبس أو التمر المطبوخ (الرُّب) قـبل وضع السمن فيهـا حتى يمنعهـا من النَّضح. والنِّحْو ويشبـه العكة في الشكل والاستخدام ولكنه أكبر منها حجماً. والمِكْرَش وهو وعاء من الجلد يحفظ به الزبد بعد أخذه من الصميل بعد خضه. والرَّاوِيَه وتصنع من جلود الإبل، وهي تشبه القربة ولكنها أكبر منها حجماً، كما أنها مربعة الشكل في الغالب. ويكون للراوية رقبة في أعلاها وعروتان عن يمينها وشمالها تستخدمان لحملها. وتقوم الراوية مكان القربة فـي نقل الماء من مكان إلى آخر، خاصة لدى البادية، ولكنها لا تصلح لتبريد الماء. والعَيْبَه وتصنع أيضاً من جلود الإبل، وتكون مربعة الشكل ذات عروتين ويودع فيها التمر خاصة، وسائر الأطعمة بشكل عام. وقد سبق الحديث عنها.

والحوض ويعد من أكبر المصنـوعات التي تتخـذ من جلد البعير، وهو عـبارة عن وعاء كبير قد يستخدم في صنعه عدة جلود حيث تخرز مع بعضها وتثبت على قوائم خـشبية تحملـه قرْبَ البئر. ويعـبأ الحوض بالماء لـترد إليه الإبل والبـهائم. كما يُصنع من جلد رقبة البعير وعاء يسمى الركوه في بلاد غامد وزهران يـقوم مقام الإبريق الحديث إذ له فم يدخل منه المـاء عنـد التعـبئـة، وآخر يخـرج منه عـند

الاستعمال وهو أصغر من سابقه وله عروة تساعد على حمله، ولإحكام خروج الماء بقدر عند الوضوء فقد يستخدم عظم الغنم المجوف كماسورة.

والجَاعَد ويصنع من جلود الضأن والماعز، وهو أنواع عدة، بعضها يدبغ ويزال ما به من صوف يلبس على شكل صدرية يتوقى بها المحتطِب والحشّاش. ومنها ما يفترش على ظهر المطية كالنطوع (جمع نطع) والمبارك (جمع ميركه)، والبدود جمع بَدّ وهو أحد الأجزاء التي توضع فوقها خشبة المسامة أو الشداد، وتكون، عادة، مقسمة إلى أربعة أقسام متساوية وتوضع على ظهر الجمل يقسمها سنامه وتحشى بالتبن، ومن الجواعد، جاعد الطفل الذي يوضع تحته ليمنع تسرب بوله.

ومن الجواعد ما يدبغ من دون أن يزال صوفه، ويختار عادة من جلود الضأن كبيرة الحجم غزيرة الصوف ويستخدم كفراش للجلوس عليه خاصة في فصل الشتاء لأنه يعطي الدفء للجالس عليه. كما يستخدم هذا النوع أيضاً ليفرش على شداد البعير أثناء الركوب.

أما الرَّكْوَه فهي بمثابة سرير لنوم الطفل، ولكنها مصنوعة من الجلد بعد دبغه حتى يصبح ناعماً. طولها في حدود المتر وعرضها أقل من ذلك. يثبت من طرفيها عصوان يربط بطرفي كل عصا حبل، وهي مفتوحة تبسط على الأرض ويفرش عليها فراش صغير ناعم، ويوضع الطفل بداخلها لتضم أطرافها العليا. وبطبيعة الحال تكون مفتوحة من أعلاها، وتعلق في أحد أجزاء البيت وتهز حتى ينام الطفل. وتسمى في بعض المناطق المِيْزَب كما في الأفلاج والمناطق المجاورة. وتستخدم الركوة لحمل الطفل من مكان لآخر.

وتعتبر الجلود، خاصة جلود الإبل، من المواد الأساسية التي تصنع منها الحبال المتنوعة، والشرائح الجلدية (القد) التي تستخدم في ربط العديد من المصنوعات الخشبية وتقويتها كالمحال والأبواب والمواقع وغيرها. ومن أهم أنواع الحبال المصنوعة من الجلود حبل السريح (المقاط)، وهو أحد الحبلين اللذين يحملان الغرب عند رفعه من البئر.

أما الجلمد، وهو العصب الأصغر برقبة البعير، فهو يسرح ويلف ثم يُترك حتى يجف. وعند الحاجة إليه يُخلط قليل من الطين ويدفن فيه الجلمد لمدة يوم أو يومين، وخلال هذه الفترة يسقى بالماء من فترة لأخرى حتى يلين. ويستخدم الجلمد في «وسر» الأشياء ذات القيمة كالبنادق مثلاً، وذلك لجماله وقوته، وهو أفضل من القِد.

وبالإضافة إلى ما سبق بيانه تستخدم الجلود في العديد من المصنوعات الأخرى، كالأحذية (النعال) والبريم (المحزم) وخباء البندقية والدُّف الذي تستخدمه النساء للطبل عليه في مناسبات الزواج والأعياد وغيرها. والطبول أو الدماميم التي يستخدمها الرجال في العرضة والسامري.

ويصنع من الجلود وبخاصة وادي الصفراء وما حوله الحسكل وهو وعاء لحمل النقود وما خف حمله ويزان بالخرز والنقوش والسيور وهو يشبه شكلاً مِنطقة المسدس حيث يشد بمجدول من السيور يسمح بتمنطقه بحيث يتدلى الحسكل تحت الإبط الأيسر ومرتكزاً حزامه أو مجدوله على الكتف الأيمن.

والميسب وهو يشبه العكة ولكنه أكبر منها ويستخدم لحفظ العسل.

والسماط وهو وعاء يحمل فيه المسافرون متاعهم، وهو نوعان.

عيبة

والقذه وهي تنورة من السيور تلبسها البنات قديماً خاصة من كن دون العاشرة من العمر.

والجراب وهو وعاء تحفظ فيه الحبوب والتمور والدقيق.

والحقو أو النسعة وهو حزام من السيور للرجال إما خارج ثيابهم أو تحتها.

جراب

والنطع ويستخدم لجمع الدقيق حيث يوضع تحت الرحى.

والقبيل وهو وعاء أكبر من السماط يحمل على الظهر وقد يقرن القبيلان على الماشية فيصبحان كالخرج.

ويصنع من الجلود مجموعة أخرى من الحقائب والأوعية تستخدم لحمل المال والبن والفناجين وغيرها من الأشياء الخفيفة، كما يصنع من السيور عديد من الأشكال لكثير من الأغراض، والجلود والسيور يمكن تلوينها واستخدامها في أغراض زينة المصنوعات الجلدية.

المصنوعات الصوفية. تستخدم أصواف الأغنام ووبر الإبل في حياكة العديد من المنسوجات والملابس والفرش. وتعتبر حياكتها من الهوايات المحببة لنساء البادية؛ تماماً كصناعة السفيف بالنسبة لنساء الفلاحين. وقد تمارس الحياكة أيضاً بعض نساء الفلاحين، كما تعد حرفة رئيسية يمارسها بعض الرجال في بعض المناطق. ومن أهم المصنوعات المعتمدة على الصوف والوبر الجُبَّة أو البِيدي، وتحاك من أصواف الضأن. وقد تكون ملونة إما نتيجة للصبغ أو نتيجة لألوان أصواف الضأن الطبيعية. فتكون حمراء مائلة إلى الأحمر الداكن، أو بيضاء. وهي طويلة تصل إلى القدمين بالنسبة للرجال، وقصيرة تصل إلى منتصف الجسم للنساء. وهي مفتوحة من الأمام، ولها فتحتان تسميان الكُمَّان، يدخل الرجل يداً في كل فتحة. والجبة شبيهة بالبشت في وقتنا الحاضر، إلا أنها ثقيلة الوزن، وتستخدم في الشتاء غالباً داخل المنزل أو خارجه. وتحلّى بخيوط ملونة ومتناسقة وجميلة النقش في جانبي الفتحة الأمامية وعلى امتداد الأكمام وحول فتحاتها التي يلحق بها كتل ملونة، ونسيج البيدي تقوم به النساء أما تزيينه بالنقش فمهمة يتولاها رجال متخصصون.

والفَرْوه، كالبيدي تلبس فوق الثياب، ولكنها أخف وزناً من البيدي، لأن ظاهرها من القماش، أما باطنها (فروتها) فعبارة عن قطع من صوف الغنم. وتصنع من الصوف تشكيلة كبيرة من الملابس، منها مشالح الرجال وعباءات النساء والجوارب الصوفية والقبعات وغيرها. وكذلك البُسط والمفروشات، وتضم عدة أنواع تتفاوت في حجمها ودقة صنعها واستخداماتها وأهمها السَّاحه (جمعها سِّياح)، وهي بساط منسوج من وبر الإبل الأشقر، تزين، عادة، بخيوط من جنسها ملونة بمختلف الألوان، تصنع منها نقوش وأشكال بديعة. وتستخدم السِّياح مفارش في مجالس الرجال وغرف النساء، كما تعلق أحياناً على الجدران للزينة. والفِلِيج

وهي تشبه السَّاحة ولكـنها أسمك منها وأكثر متانة. والشَّمْلَه وهي فراش يصنع من شعر الماعز بعـد غزله، يصل طوله أحياناً إلى أكثر من خمسة أمتار وعرضه ما بين مترين إلى ثلاثة، وتسـتخدم في المناطق الجنوبية الغربية.

أما في المناطق الوسطى فتطلق الشمله (المنثر)؛ وهو ما يسمى في منطقة حائل الشنيف، على قطعة منسوجة (مسدوة) من شعر الماعز أو صوف الضأن، عرضها متر وطولها متران، وفي نهايتيها عروتان في إحداهما حبل (مرار)، يستخدم في رد بعضها على بعض بعد وضع الأعلاف (الحشيـش) فيها، وقد تسـتخدم فراشاً وغطاءً عند الضرورة. والبسط الصوفية، وهي تشبه السَّاحة في شكلها واستخدامها ونقوشها، غير أنها تصنع من الصوف. ومن هذا النوع من البسط ما يعرف في المناطق الجنوبية باسم العَبَاة، وهي تشبه الشملة في هذه المناطق، ولكنها أقل طولاً كما أنها تصنع من صوف الأغنام، وتنتهي أطرافها بكتل مدلاة، وتستخدمها النساء على فراش النوم فقط وتسمى واحـدتها لحافاً (جـمعها لحف). وقد كـانت من المتطلبات الرئيسية لفرش بيت الزوجية.

ومن هذا النوع من الـبسط السوداء أو العدول (مفردها عِدْل)، ما تفرش في بيوت الشعر أو تستعمل كفرش داخلي، ومنـها ما يـصنع من الـصوف النـاعم ويستخدم أغطية. والعدول أكياس كبيرة من الـصوف أو الوبر تـستخدم لحـمل الأشيـاء ولا تسـتخـدم للـفرش، ولا للأغطية إلا في حالات الضرورة ولعدم توافر غيرها من الأغـطية. ومن اسمها يستدل على أنها توضع على ظهر البعير من الجانبين ليتعادل بعضها مع بعض.

أما الخِرْج فيصنع من الصوف أو الوبر ويوضع على ظهر المطية (الذلول) لتزيينها ولذا فهو مزين بالنقوش والألوان المتعددة والكتْل المتدلية من جانبيه. وهناك خرج آخر يستخدم للحمار منسوج من الصوف ومحـلى بالنـقوش في أعلـى صِفتـيه (مفردها صِفْـنه، تقول صِفنة الخرج). والمِزْودَه وهي نسيج من الصوف يستخدم لحمل الأغراض أثناء السفر على ظهور الإبل، وهي من المستلزمـات الضرورية للمسـافر في العصور المـاضية. وتزين المـزودة عادة بـالـنـقوش والـزخـارف والألوان، كما تحاط فـتحتها من أعلى في بـعض الأحـوال بإطار جـلدي بـه حلقات تـدخل ببعضهـا وتنتهي بقـفل وتسمى المقفله أو المقفليه لأنها ذات قفل تقفل به عندما توضع فيها أشياء ثمينة. وهذا النوع الأخير يعتبر بمثابة حقيبة السفر

أو الخزانة لنساء البادية. وأخيراً بيوت الشعر، وهي معروفة وتصنعها النساء في البادية وتسمى المتوبكه.

وهكذا فإن مجمل ما ذكر عن المصنوعات المختلفة المعتمدة على جلود الحيوانات وأصوافها وأشعارها وأوبارها، يوضح مدى الاهتمام الكبير الذي كان يوليه الأولون للاستفادة من الموارد المحلية المتاحة. فقد استفادوا من الموارد الحيوانية، كما استفادوا من الموارد والخامات الزراعية المختلفة لتلبية جميع احتياجاتهم، سواء ما يتعلق منها بمسكنهم أو ملبسهم أو معيشتهم أو أدواتهم المختلفة.

وفي وادي الصفراء وما حولها، وهي منطقة غير رعوية كنجد ويقل فيها استخدام الصوف، يصنعون من الصوف؛ المجدول وهو حبل مبروم ملون تحمل به القرب والسماطات ويسمى كذلك المعصم.

والمحقبه وهي حبل غير مبروم ويندر تلوينه وتحمل به القرب أيضاً.

والريق وهو حبل تربط به السخال.

والحزام وتتمنطق به الفتيات قبل الزواج مزيناً بالخرز الصغير والتل.

والقذه وهي تنورة للبنات الصغيرات تتكون من خيوط من الصوف كقذة السيور.

والصوف أو نسيج الصوف يؤخذ من الضأن، كما يؤخذ الوبر من الإبل، والشعر من الماعز، ويضاف العهن وهو أنعم هذه الأنواع وأقبلها للتلوين إلى الصوف والوبر والشعر فيساعد في تماسك النسيج.

أما التلوين للأصواف والجلود فإن أهل البادية يستخدمون الصدأ في التلوين وذلك بوضع الحديد والصوف والجلود في الماء حسب اللون المستهدف. ويدخل في أعمال النسيج (السدو) وأدواته. وأيضاً مواسم جز الصوف وتخزينه وتنظيفه والمغازل ونحوها.

ومن الصوف تنسج الصفنه وتشبه المزودة وتعلق على جدران الغرف للزينة ولتخزين الحاجات الخفيفة، والصفنة نوعان ملون وغير ملون. وتنسج من الصوف زينة الذلول من المقود والسرج ونحوها. وتصنع من خيوط الأصواف كرة اللعب.

الحرف المساندة لمهنة الزراعة

لا شك أن المزارع التقليدي كان يحتاج إلى العديد من الأدوات الزراعية التي يستخدمها سواء في الحراثة أو الري أو الحصاد أو الدياس أو عمليات حفر وبناء الآبار. وكان العديد من هذه

الأدوات الزراعية يحتاج إلى صناعة متقنة، ولم يكن لدى الغالبية العظمى من المزارعين القدرة على صناعة معظم تلك الأدوات الزراعية. قد يكون لدى بعضهم القدرة على صنع بعض الأدوات بإتقان، كأن يكون المزارع نجاراً مثلاً، وقد يقوم بعضهم بصناعة أدوات بسيطة ليس فيها تعقيد ولا تحتاج إلى مهارة خاصة. وعلى هذا الأساس نشأ العديد من الحرف التي يعمل فيها أناس متخصصون، وتلبي كل احتياجات المزارع من الأدوات الزراعية. وحتم هذا الوضع وجود علاقة بين المزارعين وبين مجموعة من الحرفيين؛ وسنورد فيما يلي عدداً من الحرف، وما تقدمه كل حرفة من خدمات للمزارعين وكيفية التعامل بين المزارعين والحرفيين، فيما يتعلق بتبادل السلع والخدمات.

كان النجار مثلاً يقدم خدمة كبيرة للمزارع، من خلال ما يصنعه من أدوات تستخدم في كل العمليات الزراعية. ومن هذا المنطلق تكاد لا تخلو الكثير من القرى، من نجار واحد على الأقل، وهذا يعني أن النجار قد يمتهن الزراعة إلى جانب النجارة، إلا أن النجارين يختلفون في مدى اتخاذ النجارة حرفة أساسية ووحيدة، أو حرفة ملازمة للزراعة أو امتهانها كحرفة ثانوية. وتخضع طبيعة الاحتراف لمدى ما يملكه النجار من أراض زراعية. فإذا كانت لديه مساحات كبيرة فإن امتهانه لحرفة النجارة يكون محدوداً، بحيث يقتصر على صنع أدواته الزراعية وما يحتاج إليه منزله وقد يقوم بإصلاح بعض الأدوات الزراعية لبعض المزارعين في قريته، وفي الغالب يكون ذلك دون مقابل ومن باب التعاون. أما النجارون الذين لديهم مساحات زراعية محدودة أو لا توجد لديهم مزارع على الإطلاق، فإنهم يتخذون النجارة حرفة أساسية، ويسعون دائماً لشراء الأشجار أو قطعها من أماكن مخصصة والعمل على تصنيعها، ومن ثم بيعها سواء للمزارعين في القرية، أو الذهاب بها إلى السوق. ومن المتعارف عليه أن النجار يتقاضى في الغالب أجره نقداً، إذا قام بعمل أدوات يطلبها المزارع، وكذلك يتقاضى قيمتها نقداً، عندما يبيعها في السوق؛ والسبب في ذلك أن النجار يحتاج إلى شراء بعض الأخشاب، ولذلك لا بد من الدفع له نقداً. إلا أن ذلك لم يمنع بعض المزارعين من التعامل مع نجارين بصفة دائمة للحصول على أدواتهم، وإصلاح ما عطب منها، مقابل مقدار معين ومتفق عليه من الإنتاج سواء كان حبوباً أو تمراً.

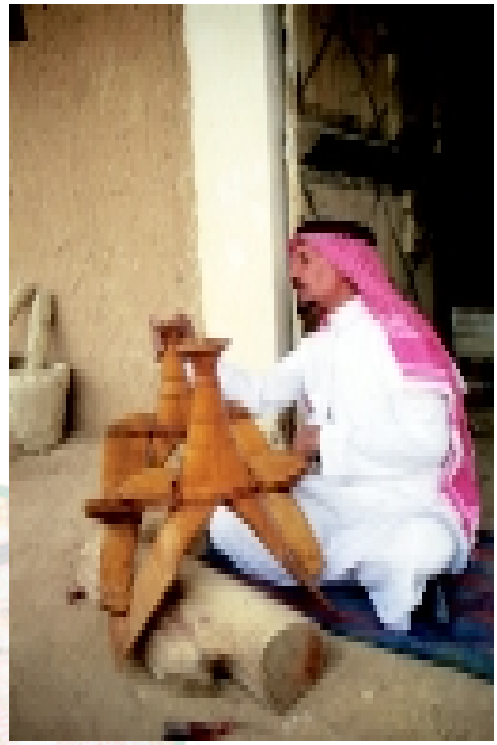

النجارة

وهذا الأمر كان شائعاً وموجوداً في كل مناطق المملكة، بحيث يكون لهذا المزارع الأولوية عند الشراء، وعند إصلاح الأداة خاصة، لإن الدراج أو المحال أو المحراث عندما ينكسر فإنه يحتاج إلى بديل أو إصلاح سريع، ولا يتم هذا إلا إذا كان هناك نجار، يتم التعامل معه باستمرار من قبل المزارع. وكان النجار يتولى صناعة العديد من الأدوات، مثل المَحّاله والدَّرَّاجه وأنصبة المَحاش والشريم والسكاكين وعراقي الغرب والنُبُوع أو السُهْمان والمِحْرَاث أو الجّارَة وعصِي المَسَاحي والفُؤوس والفَوارِع والقَدُوم والمَضْمَده أو المِقْرَنه والقَتَب والوَقَل والجَوَازل ومِسَامة الجمل والمَدْمَسه والمِدْمَام أو المْكَمَّه والمِقْصَب أو المِجْنَب.

ولا يستغني الفلاح عن الحداد أو الصانع، وكانت أعداد الحدادين محدودة، بعكس أعداد النجارين. والسبب في ذلك أن الحدادين أو الصناع كانوا في الغالب، لا يملكون أراضي زراعية، وبالتالي يقتصر وجودهم على بعض القرى والبلدان، بل إن الغالبية منهم، خاصة في المناطق الجنوبية الغربية، لم يكن لديهم مساكن

ثابتة في القرى، حيث كانوا يتجولون من قرية إلى أخرى. فقد يستقر الحداد في القرية موسماً زراعياً أو سنة، وقد تطول به المدة لعدة سنين، حسب ارتياحه للمكان الذي ينزل فيه، ومنهم المستقرون في بلدانهم ولهم مزارع وبساتين. وكان الصانع عندما يأتي إلى القرية، يُبدي أحد السكان، عادة، استعداده لإسكانه، ويتم ذلك في الغالب من قبل الأسر المقتدرة، التي تملك بيتاً واسعاً يمكن تخصيص جزء منه محل إقامة للحداد، وغالباً يكون ذلك من دون مقابل. إلا أن الحداد في هذه الحالة يقوم بإصلاح كل أدوات المزارع، الذي ينزل في بيته، وصناعة أي أدوات جديدة دون مقابل نقدي أو عيني. يقوم الصانع أو الحداد بعد أن يستقر في قرية معينة، بالتجوال في مجموعة من القرى المجاورة لمحل إقامته، ويخبر أهلها بمكان وجوده ويجري معهم اتفاقيات غير مكتوبة لإصلاح أدواتهم الحديدية، بكل أنواعها مقابل مقدار معين من الثمرة. وإذا أراد مزارع أن يشتري أداة حديدية جديدة فإنه في هذه الحالة يدفع نقداً أو مقداراً من الحبوب، وفي نهاية الموسم يتجمع لدى الحداد مقدار من الحبوب، تزيد عن حاجته فيبيعها، للحصول على ما يحتاجه من حديد لصناعة الأدوات.

وعندما يربي الحداد بقرة أو عدداً محدوداً من الأغنام، فإن كل مزارع في القرية، وربما قرى أخرى مجاورة، يحدد له مساحة محدودة قد تكون مترين في مترين، مزروعة برسيماً يقوم بحشها حسب الاحتياج، فكل مزارع، خاصة في المناطق الزراعية الواقعة على الأودية التي تعتمد على الري من الآبار، لا بد أن يخصص له مساحة محدودة، قد تصل إلى ٤٠٠م٢، يزرعها برسيماً.

كما يحصل الحداد على حاجته من الأعلاف عند الحصاد، سواء حصاد الذرة أو القمح والشعير. ويقوم بتخزينها مع مخزون المزارع الذي ينزل ببيته، وقد يُسمح للحداد أو الصانع ببناء منزل خاص به، ويظل مستوطناً بالقرية إذا رغب الإقامة فيها، وهذا غالباً يحدث بعد إقامته أكثر من خمس سنوات.

وإذا كان هذا هو الحال في المناطق الجنوبية الغربية، فإن طبيعة معيشة الحداد في المناطق الأخرى، خاصة المناطق الوسطى والشرقية، تختلف سواء في نوع إقامته أو أجرته. ففي هذه المناطق يغلب أن يكون الحداد كالنجار، أحد سكان القرية الدائمين وتكون لديه مزرعة أو بستان، ويمارس مهنته خدمةً للمزارعين وغيرهم. وهو، كالنجار في هذه

المناطق، قد يتقاضى أجرته سهماً من الزرع أو التمر، إذا كان عميلاً للفلاح، أو تكون أجرته نقداً إذا لم يكن كذلك. ويكون عادة لكل مزارع عميل من النجارين والحدادين، يصلح ما عطب من أدواته الزراعية طوال موسم الزراعة، لقاء كمية محددة من المحصول. أما الأدوات الجديدة التي يحتاجها الفلاح، فعادة لا تدخل في هذا الاتفاق وعلى المزارع أن يدفع ثمنها إما نقداً أو كمية إضافية من المحصول.

ويصنع الحداد العديد من الأدوات الزراعية، مثل الحَدِيْدَه أو سِنَّة الحرث التي تشق الأرض عند الحرث، مَحَاور الدَرّاج والمحّاله. المِسْحَاة أو الصخين، القَدّوُم، الفَأس، الشَرِيم-المَحَش، المَعْتَله أو العَتَله، المِطْرَقه، الهِيْب أو الفَانُوس، المفراص، المَدَك، المِنْزَاف، العَيْن، الفَارُوع أو المَنْقَبه، السكاكين بأنواعها الصغيرة والكبيرة، المسامير لتثبيت بعض الأدوات الزراعية، المَحَش، والمَحْطَب. وكثيرٌ من هذه الأدوات تحتاج إلى حدادة دائمة، لذلك يحمل المزارع عند موسم الحصاد كل ما لديه من محاش ومحاطب ويذهب بها دفعة واحدة للصانع أو الحداد لحدادتها. وهكذا يبدو واضحاً وجلياً أن المزارع لا يستغني عن الحداد أبداً. وبعض

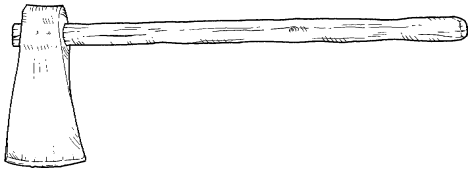

الفأس

الحدادين الذين أتيحت لهم فرصة الاستقرار صاروا يعرضون مصنوعاتهم في الأسواق، ويحصلون على النقد. ومثل هؤلاء يكونون مهرة جداً في مصنوعاتهم الحديدية، لذا يجدون من يفضل الشراء منهم، خاصة المقتدرين الذين تتوافر لديهم سيولة نقدية. كما يصنع الحدادون أيضاً العديد من الأدوات المنزلية.

وفي القرى المتجاورة الصغيرة قد يوجد صانع غير متخصص ولا محترف، ولكن كل مجموعة من هذه القرى لها حاضرة أي قرية كبيرة يقام بها سوق ويفد إليه أهل القرى للتسوق وإصلاح معداتهم من أدوات زراعية ومنزلية كحد السكاكين والفؤوس والمناقيش والعتل ونحوها أو رب القدور والصحون النحاسية، ولحام الأدوات الأخرى.

أما القرى الكبيرة فقد يكون بها صانع وغالباً ما يكون متخصصاً في المصنوعات المحلية. وفي أيام الصيف يفد إلى القرى صناع متجولون ينزلون في أطراف القرى

فيهرع إليهم الناس لإصلاح معداتهم المعطلة أو شراء معدات جديدة.

وأصحاب القرى القريبة من المدن يصلحون معداتهم في المدن. وكانت الحيطة والمحافظة على المعدات كفيلة بتخفيف حاجة المزارع إلى هؤلاء الصناع.

وللخراز أهميته لدى المزارع التقليدي، خاصة في كل أداة تتعلق بإخراج الماء من الآبار أو نقله إلى المنزل. وقد يكون الخراز في بعض المناطق مزارعاً، ولكن لديه براعة في هذه الحرفة فيقوم بهذا العمل بين وقت وآخر مقابل أجر نقدي. وقد يقوم بالعمل لبعض المزارعين عوناً منه، من دون مقابل، خاصة لمن لا يستطيع الدفع منهم. وفي بعض المناطق يكون الخراز متخصصاً في هذه المهنة وليس لديه أملاك زراعية، فيأخذ مقابل عمله نقوداً أو قد يكون الاتفاق معه على مقدار معين من الحبوب أو التمور. وهذا الصنف من الخرازين، في الغالب، تكون لديه الجلود مدبوغة جاهزة وتشترى منه الأداة كاملة بينما الخراز المزارع تجلب له الجلود المدبوغة ويقوم بصناعة الأداة المطلوبة.

ويصنع الخراز الغرب، القربه، الدلو، وقد السريح، ويقوم بعمل الحبال والأرشية والأحذية، كما يقوم بترقيع الغرب والقربة عند حدوث شقوق أو ثقوب بها قابلة للترقيع وفي أحيان كثيرة يقوم بذلك المزارع نفسه؛ يقول فلاح

الخراز

من أهـل قفار مـتضـجراً من هـموم الفلاحة:

شـيبـتـنـي وانا مـا كـنت شـايـب

أرقـع الـدلـو، يـنـشـق المـقـام

والوضّان أو الفتال هو الشخص الذي يقوم بصناعة بعض الأدوات من سعف النخيل أو ليفها، والكثير منهم في الغالب من المزارعين وأفراد أسرهم، الذين لديهم المهارة في عمل الأدوات المـصنوعة من النخـيل، مثل المكتـل والزنبيل والقـفه والمربده والخوص والمـذرا والمهفه. كما يقوم الفتال بفتل الحبال من ليف النخل

الفتّال

أو سعـفه لتسـتخدم بـشكل كبـير في استخراج الماء من البئر سواء بالسانية أو الدلاء.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن أعـمال السفيف المعتمدة عـلى سعف النخل، وبعض الـنباتات الأخرى كـالأثل في الأحساء والقطيف، وسعف نبات الدوم في المناطق الجنوبيـة، قد تتولاها نساء الفلاحين في بـعض المناطق، كما قد يمتهنها بعض الرجال في مناطق أخرى. أما فـتل الحبال مـن الليف والـسعف وعذوق النخل فـعادة يقوم بها المزارع نفـسه، وقـد يتخـصص بـها بعـض الرجال، خاصة من كـبار السن حيث يستأجرهم الفلاح لهذا العمل في مواسم الزراعة الرئيسية.

ويعمل البنَّاء في بناء المنازل وكذلك بناء الآبار وطيّها، بخاصـة ما كان منها في المناطق الطينـية والرملية. وكثيراً ما يمارس المزارعون في بعض المناطق مهنة البناء، إلا أن المهـارة في البناء تختلف من شخص إلى آخر. وفي الوقت الذي نجد فيه بنائين يقومون ببناء المنازل وطي الآبار معاً، نجد بعض البنائين لا يجيدون سوى طـي الآبار، لأن الـبئر مـحددة ويسهل بناؤها بينما المنزل تحتاج جدرانه إلى موازنة أكثر دقة.